الكتاب الجامع للفضائل

(٧٣)

متفرقات - و

الشيخ/ندا أبو أحمد



الكتاب الجامع للفضائل

(متفرقات - و)

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب:٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

١- فضل لزوم جماعة المسلمين:

الاجتماع والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

٢- فضل من أسلم وحسن إسلامه:

٣- فضل الانتساب إلى الإسلام والعمل بشرائعه:

٤- فضل محبة الله ورسوله ﷺ:

٥- فضل الإيمان بالله ورُسُلِه واليوم الآخر:

٦- فضل مَن يؤمن بالنبي ﷺ دون أن يراه:

٧- فضل الذين آمنوا بالرسول ﷺ من أهل الكتاب:

٨- فضل من آمن بالنبي ﷺ وأسلم وهاجر وجاهد:

٩- فضل طاعة الله ورسوله ﷺ:

أ- جعل اللهُ تعالى طاعة النبي ﷺ طاعة له سبحانه: ب- طاعة النبي ﷺ من أركان الإيمان

جـ- طاعة رسول الله ﷺ سببٌ للهداية والاستقامة: د- طاعة النبي ﷺ سبب للفوز برحمة الله تعالى

هـ- طاعة النبي ﷺ سبب للفوز بمحبة الله تعالى ومغفرة الذنوب:

و- طاعة الله ورسوله ﷺ عصمة من الزيغ والضلال:

ز- طاعة النبي ﷺ سبب للنجاة في الدنيا والآخرة:

حـ- الملائكة يستغفرون ويدعون للمؤمنين الذين يُطيعون الله ورسوله ﷺ:

ط- طاعة الله ورسوله ﷺ السبيل لدخول الجنة، والنجاة من النار:

ك- طاعة الله ورسوله ﷺ ليست فقط سبب لدخول الجنة؛ بل هي سبب لسكنى أعالي الجنة مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ:

١٠- فضل التمسك بهدي النبي ﷺ وسنته: ١١- فضل مَن حقَّق الولاء والبراء:

١٢- فضل من يحب للناس ما يحبه لنفسه:

أ- المسلم الحق هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه:

ب- لا يكتمل إيمان العبد حتى يحب للناس ما يحبه لنفسه:

جـ- خير الناس من يرجو الخير للناس ويحبه لهم:

د- الفوز بالجنة والنجاة من النار لمن يحب للناس ما يحبه لنفسه:

١٣- فضل أداء الفرائض:

أ- إداء الفرائض أفضل ما يتقرب به العبد من ربه تعالى.

ب- إداء الفرائض سبيل لدخول الجنة والبعد عن النار.

١٤- فضل الأعمال الصالحة من الصلاة والصيام:

١٥- فضل مَن جمع بين صيام، وصلاة جنازة، وصدقة، وعيادة مريض في يوم واحد:

١٦- فضل خمس أعمال مَن عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجَنَّة:

١٧- فضل أي عمل طيب يبتغى به وجه الله:

١٨- فضل المداومة على العمل الصالح وإن قل:

١٩- فضل تزكية النفس:

أ- التزكية سبب لسعادة الإنسان وفلاحه في الدنيا والآخرة:

ب- التزكية سبب لدخول الجنة والنجاة والوقاية من النار:

٢٠- فضل من طال عمره وحسن عمله:

٢١- فضل اجتناب الكبائر:

٢٢- فضل نشر العلم:

٢٣- ثواب هذا العلم يصل إلى من نشره بعد موته ما دام يعمل به.

٢٤- فضل تعليم الناس الخير:

٢٥- فضل مجالس العلم:

٢٦- فضل الخروج لطلب العلم:

٢٧- فضل كفالة طالب العلم:

٢٨- فضل الدعوة إلى الله تعالى:

أ- مَن دَلَّ علَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ.

ب- الدعوة إلى الله نوع من أنواع الجهاد:

جـ- الدعاة والعلماء هم ورثة الأنبياء:

د- الدعاة اصطفاهم الله وجعلهم أئمة يهدون الناس إلى طريق الحق:

٢٩- فضل من سن في الإسلام سنة حسنة:

٣٠- فضل صلاح الآباء:

صلاح الآباء ينفع الأبناء: وتشمل بركة عبادة الرجل الصالح لأبنائه في الدنيا والآخرة.

٣١- فضل الدعاء وسؤال الله الجَنَّة:

١- فضل لزوم جماعة المسلمين:

قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران:١٠٣)

قال الإمام القرطبي-رحمه الله- فيّ تفسير هذه الآية:٤/ ١٥٨": " فإن الله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة ". اهـ

وقال أيضًا-رحمه الله-: " فأوجب الله تعالى علينا التمسُّك بكتابه وسُنَّة نبيه ﷺ، والرجوع إليها عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسُنَّة اعتقادًا وعملًا، وذلك سبب اتفاق الكلمة، وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع، ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال: " **إنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أنْ تَعْبُدُوهُ، ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، ويَكْرَهُ لَكُمْ: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةَ المالِ** ".

- *وفي رواية:* " **إن اللهَ يرضَى لكم ثلاثًا، ويسخطُ لكم ثلاثًا، يرضَى لكم: أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبلِ اللهِ جميعًا ولا تفرَّقوا، وأن تناصحوا مَن ولَّاه اللهُ أمرَكم** ".

وقولُه ﷺ:" **ولا تَفرَّقوا**"، أي: اجتَمِعوا على الاعتصامِ بالقرآنِ والسُّنةِ اعتقادًا وعملًا، فتَتَّفِقُ كَلمتُكم، فتَتِمُّ لكم مَصالحُ الدُّنيا والدِّينِ، وتَسْلَمون مِن الاختلافِ والافتراقِ الَّذي حصَلَ لأهلِ الكتابينِ مِن اليهودِ والنَّصارى.

قال النووي -رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث: " وأما الاعتصام بحبل الله: فهو التمسُّك بعهده، وهو اتِّبَاع كتابه العزيز، وحدوده، والتَّأَدُّب بأدبه، وأما قوله ﷺ:" **ولا تفرَّقوا**" فهذا أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام ". (شرح النووي على مسلم: ١١/١٢)

وفي مسند الإمام أحمد عن زيد بن ثابت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **نَضَّرَ الله امرأً سَمِعَ منَّا حديثًا، فحَفِظَهُ حتى يُبَلِّغَهُ غيره، فإنه رُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيهٍ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَن هو أفْقَهُ منه، ثلاثُ خِصالٍ لا يَغِلَ عليهن قلبُ مسلمٍ أبدًا: إخلاص العمل لله، ومناصحة وُلاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تُحيطُ من ورائهم** ".

- ولزوم الجماعة مِنَّةٌ من الرحمن، والفرقة من الشيطان.

فقد أخرج الإمام أحمد أبو داود واللفظ له وابن حبان عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال: " **كانَ النَّاسُ إذا نزلوا منزلًا تفرَّقوا في الشِّعابِ[1] والأوديةِ[2] فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ:" إنَّ تفرُّقَكم في هذِهِ الشِّعابِ والأوديةِ إنَّما ذلِكم منَ الشَّيطانِ[3]، فلم ينزل بعدَ ذلِكَ منزلًا إلَّا انضمَّ بعضُهم إلى بعضٍ، حتَّى يقالَ لو بُسِطَ عليْهم ثوبٌ لعمَّهم** ". (صحيح أبي داود: ٢٦٢٨)

- *وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال:* " **خطبنا عمر ﷺ بالجابيةِ فقال: يا أيُّها النَّاسُ إنِّي قُمتُ فيكم كقيامِ رسولِ اللهِ ﷺ فينا؛ قال:" أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونَهم ثم الذين يلونَهم ثم يفشو الكذبُ حتى يَحلِفَ الرجلُ، ولا يُستَحلَفُ ويَشهدُ الشاهدُ، ولا يُستَشهَدُ ألا لا يخلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا وكان ثالثُهما الشيطانَ عليكم بالجماعةِ وإيَّاكم والفُرقَةَ فإنَّ الشيطانَ معَ الواحدِ وهو منَ الاثنَينِ أبعَدُ مَن أراد بحبوحةَ الجنةِ فلْيلزَمِ الجماعةَ ومَن سرَّتْه حسنتُه وساءَتْه سيئتُه فذلكم المؤمنُ** ".

(صحيح الترمذي: ٢١٦٥) (صحيح الجامع:٢٥٤٦) (الصحيحة:١١١٦)

ففي هذا الحديث يقول النبي ﷺ:" عليكم بالجماعَةِ"، أي: الزَموا جماعَةَ المسلِمين، ولا تَحيدوا عنها، **"وإيَّاكم والفُرْقَةَ"** أي: احْذَروا التَّفرُّقَ والتَّشرذُمَ والاختِلافَ فيما بينَكم؛ فالفُرْقةُ شَرٌّ، **" فإنَّ الشَّيطانَ مع الواحِدِ، وهو مِن الاثنَيْنِ أبعَدُ"**، أي: ينفرِدُ الشَّيطانُ بالَّذين يُفارِقون الجماعَةَ ويَكونون فُرادى مُتفرِّقين، ويكونُ تأثيرُه عليهم أشَدَّ، ووسوسَتُه عليهم أقوى، أمَّا الجماعَةُ فهو منهم أبعَدُ، ولا يستطيعُ أنْ يؤثِّرَ فيهم كما يؤثِّرُ على الفُرادى البَعيدين عن الجماعَةِ، **" مَن أراد بُحْبوحَةَ الجنَّةِ فليلْزَمِ الجماعةَ "**، أي: مَن أراد أنْ يَدخُلَ الجنَّةَ ويكونَ في وسَطِ الجنَّةِ ويَظفَرَ بنعيمِها فلْيتمَسَّكْ بجماعَةِ المسلِمين ولا يبتعِدْ عنها ولا يخرُجْ مِن مُحيطِها، والبُحْبوحَةُ هي الوسَطُ، فبُحْبوحَةُ الدَّارِ وسَطُها وبُحْبوحَةُ الجنَّةِ وسَطُها، **" مَن سرَّتْه حسنَتُه وساءَتْه سيِّئتُه فذلكم المؤمِنُ"**، أي: ومِن علاماتِ الإيمانِ إذا أذنَبَ العبْدُ أنْ يَسوءَه ذلك الذَّنبُ، ويظلَّ نادِمًا يلومُ نفسَه على ارتِكابِه ذلك الذَّنبَ، وإذا فعَلَ قُرْبةً للهِ عزَّ وجلَّ يظَلُّ مَسرورًا بتوفيقِ اللهِ له، وشاكِرًا للهِ على تثبيتِه وتوفيقِه وهدايَتِه. (الدرر السنية)

ومن الأحاديث التي تحث على لزوم الجماعة *ما رواه الترمذي واللفظ له والحاكم من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال:* " **إنَّ اللَّهَ لا يجمعُ أمَّتي- أو قالَ: أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ- علَى ضلالةٍ، ويدُ اللَّهِ معَ الجماعةِ** ".

١- الشِّعاب: أي: شِعابِ الجِبالِ؛ وهي الطُّرُقُ الَّتي وسَطَ الجِبالِ.
٢- الأودِيَة: هي الأماكِنُ الواسِعَةُ بينَ الجِبالِ.
٣- إنَّما ذلِكم مِن الشَّيطانِ: أي: إنَّ انتِشارَكم في هذه الطُّرُقِ والأماكِنِ الَّتي بينَ الجِبالِ وعدَمَ تجمُّعِكم في مَكانٍ واحِدٍ هو مِن وَسوسَةِ الشَّيطانِ وفِعْلِه عليكم.

- ***وفي رواية عند النسائي وابن حبان بلفظ:*** **" فإنَّ يَدَ اللهِ مع الجماعةِ، وإنَّ الشَّيْطانَ مع مَنْ فارقَ الجماعةَ يَرْكُضُ".** (صحيح الجامع: ٣٦٢١)

وقوله ﷺ:" **فإنَّ يَدَ اللهِ مع الجَماعةِ** ": فهو يَحفَظُها، فالجَماعةُ المُتَّفِقةُ مِن أهْلِ الإسْلامِ هي في كَنَفِ اللهِ ووِقايَتِه، والمُرادُ بالجَماعة: جَماعةُ المُسلِمينَ المُتمسِّكينَ بهَدْيِ النَّبيِّ ﷺ وسُنَّتِه، وما جاءَ في القُرآنِ الكريمِ، وكان عليه الصَّحابةُ والتَّابِعونَ لهم بإحْسانٍ رضوانُ اللهِ عليهم، وقوله ﷺ:" **وإنَّ الشَّيْطانَ مع مَن فارَقَ الجَماعةَ يَركُضُ**"، بمَعْنى أنَّ الشَّيْطانَ يكونُ مُوجِّهًا له بالوَساوِسِ والشُّرورِ، ويكونُ سَعيُهُ في سَبيلِ الشَّيْطانِ، مَتْروكًا له دونَ حِفظٍ من اللهِ. (الدرر السنية)

- وقد حذَّر النبي ﷺ من مفارقة الجماعة، وتوعَّد مَن فعل ذلك بوعيد شديد.

- ***وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:*** **" مَن خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وفارَقَ الجَماعَةَ فَماتَ، ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً، ومَن قاتَلَ تَحْتَ رايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أوْ يَدْعُو إلى عَصَبَةٍ، أوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فقِتْلَةٌ جاهِلِيَّةٌ، ومَن خَرَجَ علَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّها وفاجِرَها، ولا يَتَحاشَى -وفي رواية: لا يَتَحاشَ- مِن مُؤْمِنِها، ولا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فليسَ مِنِّي ولَسْتُ منه ".**

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ مَن خرَج عن طاعةِ الإمامِ ووُلاةِ الأمورِ، وفارَق جماعةَ الإسلامِ المتَّفِقةَ على بَيعةِ الإمامِ، فمَات على تلك الحالِ مِن المفارَقةِ وعدَمِ الطَّاعةِ؛" **مَاتَ مِيتَةً جاهليَّةً**"، أي: على الضَّلالِ؛ لأنَّه مُفارِقٌ للجماعةِ عاصٍ لوَلِيِّ أمرِه، فتكونُ مَوتتُه على هَيئةِ مَوتِ أهلِ الجاهليَّةِ، وهي فَترةُ ما قبْلَ بَعثةِ النَّبيِّ ﷺ؛ فإنَّهم كانوا لا يُطيعون أميرًا ولا يَنضمُّون إلى جَماعةٍ واحدةٍ، بلْ كانوا فِرَقًا وعَصائبَ يُقاتِلُ بعضُهم بعضًا. وأخبَرَ النبي ﷺ أنَّ مَن قاتَلَ تحتَ رَايَةٍ" **عُمِّيَّةٍ**" نِسبةً إلى العَمَى الَّذي لا يَستبِين فيه وجْهُ الحقِّ من الباطلِ؛ يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ ويُقاتِلُ لِلْعَصَبَةِ، أي: يَغضَبُ لِمَحْضِ التَّعَصُّبِ لقومِه أو قَبيلتِه، لا لِنُصْرَةِ الدِّينِ والحقِّ، فيُقاتِلُ بغيرِ بَصِيرةٍ وعلمٍ تعصُّبًا، فإذا قُتِل على تلك الحالِ، كانت كقِتْلةِ الجاهليَّةِ." **ومَن خرَج على أُمَّتِي يَضرِبُ بَرَّها**"، أي: صالِحَها المجْتنِبَ للمَناهي،" **وفاجِرَها**" وهو الَّذي لا يَقرَبُ الطَّاعاتِ، ويُجاهِرُ بالمَعاصي، فهذا الخارجيُّ يُوقِعُ أذاهُ على مَن تَمكَّنَ منه دونَ تَفرِقةٍ بيْن تَقيٍّ وشَقيٍّ،" **ولا يَتَحَاشَى**"، أي: لا يَكْتَرِثُ ولا يُبالِي بما يَفعَلُه ولا يَخافُ عُقوبَتَه ووبَالَه مِن قتْلِ مُؤمِنِها، ولا يَفِي لِذي عَهدٍ، وهُم الذِّمِّيُّون الَّذين لهُم عَهدٌ وأمانٌ مِن المسلِمين، بلْ يَنقُضُه ويَقتُلُهم كما يَقتُلُ المسلِمين، ويَحتمِلُ أنَّه لا يَفي للإمامِ بَيعتَه بالولايةِ وبالسَّمعِ والطَّاعةِ، فمَن فَعَل ذلكَ فليْس منِّي، أي: ليْست له حُرمةٌ، بلْ إنْ ظَفِر به قُتِل، أو عُوقِبَ بحسَبِ حالِه وجَريمتِه. ويَحتمِلُ أنْ يكونَ مَعناه: لَيْسَ على طَرِيقَتي، وهذا تَبرُّؤٌ مِن أفعالِه، وأمرُه إلى مَشيئةِ اللهِ؛ إنْ شاءَ عذَّبَه، وإنْ شاء غفَرَ له، لا أنَّه كافرٌ خارجٌ عن مِلَّةِ الإسلامِ. وفي الحديثِ: الأمرُ بطاعةِ الأُمراءِ على كلِّ حالٍ فيما يُرضِي اللهَ عزَّ وجلَّ. وفيه: الأمرُ بِمُلازَمةِ الجَماعةِ. وفيه: النَّهيُ عن القتالِ عَصَبيَّةً. (الدرر السنية)

وأخرج الإمام أحمد وَالتِّرْمِذِيّ عن الحارث الأشعري ﷺ *عن النبي* ﷺ *قال:* " إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، *ثم ذكر الرسول* ﷺ *الحديث وعقَّب عليه بقوله:*" وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى؟ قَالَ: وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللَّهُ ﷻ: الْمُسْلِمِينَ، الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ ﷻ".

- وتتأكد أهمية الاجتماع وعدم الاختلاف خصوصًا في زمن الفتن.

وقد عقد النووي في شرحه على مسلم بابًا بعنوان " باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة" ثم ذكر تحت هذا العنوان حديث حذيفة ﷺ *حيث قال:*" كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ! إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بهذا الخَيْرِ، فَهلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ:" نَعَمْ"، قُلتُ: وهلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قالَ:" نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ"، قُلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قالَ:" قَوْمٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ منهمْ وتُنْكِرُ"، قُلتُ: فَهلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ:" نَعَمْ، دُعَاةٌ إلى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا"، قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقالَ:" هُمْ مِن جِلْدَتِنَا، ويَتَكَلَّمُونَ بأَلْسِنَتِنَا"، قُلتُ: فَما تَأْمُرُنِي إنْ أَدْرَكَنِي ذلكَ؟ قالَ:" تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وإمَامَهُمْ"، قُلتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ لهمْ جَمَاعَةٌ ولَا إمَامٌ؟ قالَ:" فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، ولو أَنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأَنْتَ علَى ذلكَ ".

- *قال النووي-رحمه الله- في شرح هذا الحديث:*" وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته، وإن فسق وعمل المعاصي: من أخذ الأموال... وغير ذلك، فتجب طاعته من غير معصية الله، وفيه معجزات الرسول ﷺ، وهي هذه الأمور التي أخبر بها، وقد وقعت كلها ".

(شرح النووي على مسلم:١٢/ ٢٣٧)

- *قال أبو شامة:*" حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلًا والمخالف كثيرًا، أي الحق هو ما كان عليه الصحابة الأُوَّل من الصحب، ولا تنظر لكثرة أهل الباطل بَعْدَهُم ".

- *وفي قول النبي* ﷺ*:*" فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا" **يقول البيهقي-رحمه الله-:**" إذا فسدت الجماعة؛ فعليك بما كانوا عليه من قبل، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ ".

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " عليكُم بالجماعةِ وإيَّاكم والفُرقةَ فإنَّ الشَّيطانَ معَ الواحدِ وَهوَ منَ الاثنَينِ أبعدُ مَن أرادَ بَحبوحةَ[1] الجنَّةِ فليَلزَمْ الجماعةَ. مَن سرَّتهُ حسنتُهُ وساءتْهُ سَيِّئتُهُ فذلِكم المؤمنُ ".

(صحيح الترمذي: ٢١٦٥) (صحيح الجامع:٢٥٤٦)

وأخرج ابن ماجه من حديث عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " افترقتِ اليهودُ على إحدَى وسبعينَ فِرقَةً؛ فواحدةٌ في الجنةِ وسبعون في النارِ، وافترقتِ النّصارى على ثنتينِ وسبعينَ فرقةً؛ فواحدةٌ في الجنةِ وإحدى وسبعونَ في النارِ، والذي نفسي بيدِهِ لتفترِقَنّ أمّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً؛ فواحدةٌ في الجنةِ وثنتانِ وسبعونَ في النارِ. قيلَ: يا رسولَ اللهِ! من هم؟ قال: همُ الجماعَةَ ".

(السلسلة الصحيحة: ١٤٩٢)

– *وفي رواية:* " افترقتِ اليَهودُ علَى إحدَى وسبعينَ فرقةً فواحدةٌ في الجنَّةِ وسبعونَ في النَّارِ وافترقتِ النَّصارى علَى ثِنتينِ وسبعينَ فرقةً فإحدَى وسبعونَ في النَّارِ وواحدةٌ في الجنَّةِ والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لتفترِقَنَّ أمَّتي علَى ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً واحدةٌ في الجنَّةِ وثِنتانِ وسبعونَ في النَّار قيلَ يا رسولَ اللَّهِ مَن هم قالَ الجماعَةُ ". (صحيح ابن ماجه: ٣٢٤١)

الاجتماع والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

– *قال عبد الرحمن بن أبي حاتم:* " سألت أبي[2] وأبا زرعة (الرازي) عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في أصول الدين، فقالا:" أدركنا العلماءَ في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم: كذا وكذا... إلى أن قالا: ونتبع السُّنَّة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والفرقة والاختلاف...". اهـ

– *وقال العلامة أبو جعفر الطحاوي–رحمه الله– في" العقيدة الطحاوية":* " هذا ذكر بيان عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة على مذهب فقهاء المِلَّة– إلى أن قال–رحمه الله–:"... ونتبع السُّنَّة والجماعة، ونتجنَّب الشذوذ والخلاف والفرقة،... ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا، والفرقة زيفًا وعذابًا...". اهـ باختصار

– *وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان–حفظه الله– في" التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ص:٢٥٣:* " نرى معشر أهل السُّنَّة والجماعة أن الاجتماع حقٌّ، والفرقة عذابٌ، فالاجتماع للأُمَّة على الحق رحمة، والفرقة بينهم عذاب، وهذا من صميم عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، فيجب الاجتماع ونبذ الفرقة ".

١– البُحْبوحَةُ هي الوسَطُ، فبُحْبوحَةُ الدَّارِ وسَطُها وبُحْبوحَةُ الجنَّةِ وسَطُها.
٢– سألت أبي: أبوه هو أبو حاتم الرازي.

- *يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-:* " وقد أمر الله تعالى ورسوله ﷺ باجتماع المسلمين في كثير من العبادات: كالحج، والأعياد، والجمعة، والجماعة، لما في اجتماعهم من التوادد والتواصل وعدم التقاطع، ونهى الله ورسوله ﷺ عن الغيبة، والنميمة، والسعاية، والتقاطع، والخيانة، والحسد، والحقد، ونحوها لما فيه من الفساد وتشتت العباد، وأمر بالإصلاح بين الناس بكل طريق حتى إنه أباح الكذب المتوصل به للإصلاح لما فيه من الصلاح[1] ". **(الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف)**

٢- فضل من أسلم وحسن إسلامه:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ تَكُونُ له الأمَةُ، فيُعَلِّمُها فيُحْسِنُ تَعْلِيمَها، ويُؤَدِّبُها فيُحْسِنُ أدَبَها، ثُمَّ يُعْتِقُها فيَتَزَوَّجُها فَلَهُ أجْرانِ، ومُؤْمِنُ أهْلِ الكِتابِ، الذي كانَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ آمَنَ بالنبيِّ ﷺ، فَلَهُ أجْرانِ، والعَبْدُ الذي يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ، ويَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ. ثُمَّ قالَ الشَّعْبِيُّ: وأَعْطَيْتُكَها بغيرِ شيءٍ وقدْ كانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ في أهْوَنَ مِنْها إلى المَدِينَةِ ".**

ومُؤْمِنُ أهْلِ الكِتابِ، الذي كانَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ آمَنَ بالنبيِّ ﷺ؛ أي رجُلٌ مِن أهلِ الكتابِ؛ اليهودِ والنَّصارَى، آمَن بنَبيِّه الَّذي أُرسِلَ إليه سابقًا، وهو مُوسى أو عِيسى عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ، وآمَن بمحمَّدٍ عندما بلَغَتْه دَعوتُه؛ فله أجْرانِ: أجرٌ على إيمانِه بمُوسى أو عيسى، وأجرٌ على إيمانِه بمُحمَّدٍ ﷺ، فإذا أسلَمَ وحسُنَ إسلامُه، كُتِبَت له كلُّ حَسَنةٍ كان عَمِلَها مِن قبْلُ، **ومِصداقُ ذلك قولُه تعالى:** ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ(٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ(٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ **(القصص:٥٢– ٥٤)**

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **" قالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ! أنُؤاخَذُ بما عَمِلْنا في الجاهِلِيَّةِ؟ قالَ: مَن أحْسَنَ في الإسْلامِ لَمْ يُؤاخَذْ بما عَمِلَ في الجاهِلِيَّةِ، ومَن أساءَ في الإسْلامِ أُخِذَ بالأوَّلِ والآخِرِ ".**

وقَولُه:" **ومَن أساءَ في الإسْلامِ أُخِذَ بالأوَّلِ والآخِرِ** " أي: ومَنْ أساءَ في الإسلامِ، فكَفَر باللهِ مرَّةً أُخرى بعد أن هداه للحقِّ؛ فإنَّه يُؤخَذُ ويحاسَبُ بكلِّ كُفْرٍ سلَفَ له في الجاهليَّةِ، وبكُلِّ ذنبٍ فَعَله في الإسلامِ، فكأنَّه لم يُسلِمْ، فيعاقَبُ على جميعِ ما أسلَفَه، ويحتَمِلُ تأويلُه: أنَّه يُؤخَذُ بما جناه في الإسلامِ من المعصيةِ، ويُعيَّرُ بما كان منه في الكُفرِ ويُبكَّتُ به، كأنَّه يقالُ له: أليس قد فعلتَ كيتَ وكيتَ وأنت كافِرٌ؟ فهلَّا منَعَك إسلامُك من معاودةِ مِثْلِه إذ أسلَمْتَ؟! ثمَّ يُعاقَبُ على قَدْرِ ما يستحِقُّه من المعصيةِ التي اكتسَبَها في الإسلامِ، ولا يُعاقَبُ عقوبةَ الكُفَّارِ؛ لأنَّ المسلِمَ لا يُخلَّدُ في النَّارِ، والكافِرُ مخلَّدٌ فيها أبدًا.

---

١ - يقصد الحديث الذي رواه البخاري عن أم كلثوم بنت عقبة -رضي الله عنها- أنَّهَا سَمِعَتْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ:" ليسَ الكَذَّابُ الذي يُصْلِحُ بيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أوْ يقولُ خَيْرًا ". - وفي رواية عند البخاري في الادب المفرد:" ليس الكذَّابُ الذي يُصْلِحُ بينَ النَّاسِ فيقولُ خَيرًا، أو يَنْمِي خَيرًا، قالت: ولم أسمَعْهُ يُرَخِّصُ في شيءٍ ممَّا يقولُ النَّاسُ مِنَ الكَذِبِ إلَّا في ثلاثٍ: الإصلاحِ بينَ النَّاسِ، وحديثِ الرَّجُلِ امرأتَهُ، وحديثِ المرأةِ زَوْجَها ". (صحيح الأدب المفرد: ٢٩٧)

وأخرج البخاري[1] من حديث أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، يُكَفِّرُ اللَّهُ عنْه كُلَّ سَيِّئَةٍ كانَ زَلَفَهَا[2]، وكانَ بَعْدَ ذلكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، والسَّيِّئَةُ بمِثْلِهَا إلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا ". (الصحيحة:٢٤٧)

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيُّ ﷺ أنَّ الكافرَ إذا أسلَم وحسُنَ إسلامُه، فأسلَمَ إسلامًا مُحقَّقًا بَريئًا مِن الشُّكوكِ، مؤمنًا ظاهرًا وباطنًا، فإنَّ اللهَ يُكفِّرُ عنه سيِّئاتِه الَّتي زَلَفَهَا، أي: قدَّمها وعَمِلَها قبْل إسلامِه؛ مِن الصَّغائرِ أو الكَبائرِ، تَفضُّلًا منه سُبحانَه وتعالَى، ثمَّ يُعامَلُ بعدَ إسلامِه بالقِصاصِ وذلِك بمُقابلةِ كلِّ عَملٍ مِن أعمالِه بمِثلِه، خيرًا كان أو شرًّا؛ فيُجازى على الحسَنةِ بالمَثُوبةِ، وعلى السَّيِّئةِ بالعُقوبةِ؛ فيُثابُ على الحسَنةِ بعَشرِ أضعافِها، وقد تَتضاعفُ المَثُوبةُ إلى سَبعِ مئةِ ضِعفٍ، أمَّا السَّيِّئةُ فلا يُجازى إلَّا بمِثلِها، وقد يَعْفو اللهُ عنها بفضْلِه وكرَمِه، ومَنِّه وإحسانِه، فلا يُعاقَبُ عليها فاعلُها. وفي الحديثِ: أنَّ الإسلامَ يَهدِمُ ما قبْلَه مِن الذُّنوبِ والآثامِ. (الدرر السنية)

٣- فضل الانتساب إلى الإسلام والعمل بشرائعه:

لا يدخل الجَنَّة إلا نفس مسلمة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

- *فقد أخرج البخاري ومسلم:* "... أن النبي ﷺ أمَرَ بلالًا فَنادَى في النَّاسِ: أنَّه لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ...". - *وفي رواية:* " لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلَّا مُؤْمِنٌ ".

فمَن مات على غير الإسلام فهو من أهل النار، كما قال العزيز الجبار: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١١،١١٢)

- *وأخرج الترمذي من حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال:* " إنِّي رأيْتُ في المنامِ كأنَ جبريلَ عند رأسِي، وميكائيلَ عند رِجْلَيَّ، يقولُ أحدُهما لصاحِبِه: اضرِبْ لَهُ مَثَلًا، فقال: اسمعْ سمعَتْ أذنُكَ، واعقِلْ عقِلَ قلبُكَ؛ إنَّما مَثَلُكَ ومَثَلُ أمتِكَ كمَثَلِ مَلِكٍ اتخذَ دارًا، ثُمَّ بنى فيها بيتًا، ثُمَّ جعل فيها مائدةً، ثُمَّ بعث رسولًا يدعو الناسَ إلى طعامِه، فمنهم مَنْ أجابَ الرسولَ، ومنهم مَنْ ترَكَهُ، فاللهُ هُوَ الملِكُ، والدارُ الإسلامُ، والبيتُ الجنةَ، وأنتَ يا محمدُ رسولٌ، مَنْ أجابَكَ دَخَلَ الإسْلامَ، وَمَنْ دخلَ الإسلامَ دخل الجنةَ، ومَنْ دخل الجنةَ أكلَ ما فيها ". (صحيح الجامع: ٢٤٦٥)

وقال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (الزخرف: ٦٨-٧٠)

١- أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم، وأخرجه موصولًا النسائي باختلاف يسير.
٢- زَلَفَهَا: أي قدَّمها وعَمِلَها قبْل إسلامِه؛ مِن الصَّغائرِ أو الكَبائرِ.

٤- فضل محبة اللّه ورسوله ﷺ:

أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: " أَنَّ رَجُلًا مِن أهْلِ البَادِيَةِ أتَى النَّبيَّ ﷺ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قالَ: ويْلَكَ! وما أعْدَدْتَ لَهَا؟ قالَ: ما أعْدَدْتُ لَهَا إلَّا أنِّي أُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، قالَ: إنَّكَ مع مَن أحْبَبْتَ. فَقُلْنَا: ونَحْنُ كَذلكَ؟ قالَ: نَعَمْ. فَفَرِحْنَا يَومَئذٍ فَرَحًا شَدِيدًا ".

وقول هذا الرجل:" إِلَّا أَنِّي أُحبُّ اللهَ ورَسولَه" ولم يذكُرْ غيرَها من العباداتِ القَلبيَّةِ والبَدَنيَّةِ والماليَّةِ؛ لأنها كُلَّها فروعٌ للمَحَبَّةِ مترتِّبةٌ عليها، فهي باعِثةٌ لمحبَّةِ اللهِ أو نتيجةٌ لها، فقال له ﷺ:" إنَّكَ مع مَن أحببْتَ"، أي: معهم في الجنَّةِ. وليس المرادُ بالمَعِيَّةِ التساوي في الدَّرَجةِ والمنزلةِ، بل المرادُ كَونُهم في الجنَّةِ بحيث يتمكَّنُ كُلُّ واحدٍ منهم من رؤيةِ الآخَرِ وإن بَعُد المكانُ؛ لأنَّ الحجابَ إذا زال شاهَدَ بَعضُهم بعضًا، وإذا أرادوا الرُّؤيةَ والتلاقي قدَروا على ذلك.

– *وفي رواية:* " أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبيَّ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ما أعْدَدْتَ لَهَا قالَ: ما أعْدَدْتُ لَهَا مِن كَثِيرِ صَلَاةٍ ولَا صَوْمٍ ولَا صَدَقَةٍ، ولَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، قالَ: أنْتَ مع مَن أحْبَبْتَ ". (البخاري)

٥- فضل الإيمان باللّه ورُسُلِه واليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الحديد: ٢١)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن شَهِدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ، وَأنَّ عِيسَى عبدُ اللَّهِ وَرَسولُهُ، وَكَلِمَتُهُ[١] أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ[٢] منه، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ علَى ما كانَ مِنَ العَمَلِ ".

– *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له:* " يا أبا سَعِيدٍ! مَن رَضِيَ باللَّهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا؛ وجَبَتْ له الجَنَّةُ. فَعَجِبَ لها أبو سَعِيدٍ، فقالَ: أعِدْها عَلَيَّ يا رَسولَ اللهِ، فَفَعَلَ...". الحديث

١- كلمته: وعيسى عليه السلام ليس هو كلمة الله، إنما جاء بكلمة الله وهي " كن"؛ لأننا لو قلنا: أن عيسى هو كلمة الله، لكان كلام الله مخلوقًا، وهذا ليس من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة. وقيل: إنَّ هذا إشارةٌ إلى أنَّه حُجَّةُ اللهِ على عِبادِه، أبدَعَه مِن غيرِ أبٍ، وأنْطَقه في غيرِ أوانِه، وأحيَا الموتى على يَدِه، وقيل: لأنَّه قال في صِغَره: إنِّي عبْدُ اللهِ.

٢- ورُوحٌ منه: أي: أنَّه مَخلوقٌ مِن رُوحٍ مَخلوقةٍ له سُبحانَه، فاللهُ خالِقُها ومُبدِعُها، وأُضِيفت الرُّوحُ إلى اللهِ على وجْهِ التَّشريفِ؛ كما قال سُبحانَه: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ} (الجاثية: ١٣)، أي: مِن خَلْقِه ومِن عندِه، وتَسميتُه عليه السَّلام بالرُّوحِ؛ لأنَّه وُجِدَ مِن غيرِ أبٍ، فأحياهُ اللهُ تعالَى مِن غيرِ الأسبابِ المُعتادةِ.

وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَتَراءَوْنَ أهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ، كما يَتَراءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغابِرَ في الأُفُقِ[1]، مِنَ المَشْرِقِ أوِ المَغْرِبِ؛ لِتَفاضُلِ ما بيْنَهُمْ. قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، تِلكَ مَنازِلُ الأنْبِياءِ لا يَبْلُغُها غَيْرُهُمْ؟ قالَ: بَلَى، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، رِجالٌ آمَنُوا باللَّهِ وصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ ".

وصدق الله حيث يقول: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (طه:٧٥،٧٦)

٦- فضل مَن يؤمن بالنبي ﷺ دون أن يراه:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: " طوبَى[2] لِمَنْ رآني وآمَنَ بي، ثُمَّ طوبى ثُمَّ طوبى لمن آمن بي ولم يرَني ".

(صحيح الجامع: ٣٩٢٣) (السلسلة الصحيحة: ١٢٤١)

٧- فضل الذين آمنوا بالرسول ﷺ من أهل الكتاب:

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ٨٢-٨٥)

٨- فضل من آمن بالنبي ﷺ وأسلم وهاجر وجاهد:

أخرج النسائي والحاكم عن فضالة بن عبيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: " أَنا زعيمٌ، والزَّعيمُ الحميلُ[3] لمن آمنَ بي، وأسلمَ وَهاجرَ ببيتٍ في رَبضِ الجنَّةِ، وببيتٍ في وسطِ الجنَّةِ، وأَنا زعيمٌ لمن آمنَ بي، وأسلَمَ، وجاهدَ في سبيلِ اللَّهِ، ببيتٍ في ربضِ الجنَّةِ، وببيتٍ في وسطِ الجنَّةِ، وببيتٍ في أعلى غُرَفِ الجنَّةِ، من فعلَ ذلِك فلم يدَع للخيرِ مطلبًا، ولا من الشَّرِّ مَهْرَبًا، يَموتُ حيثُ شاءَ أن يموتَ ".

(صحيح النسائي: ٣١٣٣) (صحيح الجامع: ١٤٦٥)

١- الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في الأُفُقِ: الكَوكَبَ المُضيءَ الَّذي ذَهَبَ بعْدَ انتشارِ ضَوءِ الفَجرِ في أطرافِ السَّماءِ.

٢- طوبى: أي: هنيئًا، والطوبى الحُسنى، والطُّوبَى: غبطة وسعادة، وخيرٌ دائم وهي من الطِّيب، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) (الرعد: ٢٩)، قال السعدي في تفسيره: أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن. وقال الطبري في تفسيره: طوبى لهم: أي نعم لهم، وقال: غبطة لهم، وقال: فرح وقرة عين، وقال: حُسنى لهم، وهي كلمة من كلام العرب، يقول الرجل: طوبى لك: أي أصبتَ خيرًا، وقال: الخير والكرامة التي أعطاهم الله، وقال: اسم من أسماء الجنة، ومعنى الكلام، الجنة لهُم. وقيل: إنَّ طوبى هي شجرة في الجنة، لقول النبي ﷺ: "طوبى شجرةٌ في الجنَّةِ، مسيرةُ مائةِ عامٍ، ثيابُ أهلِ الجنةِ تخرجُ مِنْ أكْمامِها".

(أخرجه الإمام أحمد وابن حبانٍ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ). (صحيح الجامع: ٣٩١٨) (السلسلة الصحيحة: ١٩٨٥)

٣- والزَّعيمُ الحَميلُ: أي: ضامِنٌ وكَفيلٌ، وقيل: يُشبِهُ أنْ تكونَ هذه لَفظَةُ "الزَّعيمُ الحَميلُ" مُدْرَجةً مِن أحَدِ الرُّواةِ.

٩- فضل طاعة الله ورسوله ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ[1] إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء:٥٩)

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر:٧)

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)

أ- جعل اللهُ تعالى طاعة النبي ﷺ طاعة له سبحانه:

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (سورة النساء:٨٠)

وأخرج البخاري من حديث جابر رضي الله عنه *قال:* جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إلى النبيِّ ﷺ وهو نَائِمٌ، فَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقالوا: إنَّ لِصَاحِبِكُمْ هذا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا له مَثَلًا، فَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقالوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً[2] وبَعَثَ دَاعِيًا، فمَن أجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، ومَن لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ولَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقالوا: أوِّلُوهَا له يَفْقَهْهَا، فَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقالوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، والدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فمَن أطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فقَدْ أطَاعَ اللَّهَ، ومَن عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فقَدْ عَصَى اللَّهَ، ومُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بيْنَ النَّاسِ[3]".

ب- طاعة النبي ﷺ من أركان الإيمان:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥)

جـ- طاعة رسول الله ﷺ سببٌ للهداية والاستقامة:

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (سورة النور:٥٤)

وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف:١٥٨)

د- طاعة النبي ﷺ سبب للفوز برحمة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة آل عمران:١٣٢)

١- أي ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
٢- وجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً: أي أعد طعامًا فاخرًا في تلك الدار.
٣- ومُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بيْنَ النَّاسِ: أي فرق بين مطيعهم وعاصيهم.

هـ- طاعة النبي ﷺ سبب للفوز بمحبة الله تعالى ومغفرة الذنوب:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١)

يقول ابن كثير –رحمه الله–: " هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، بأنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، **كما ثبت في الصحيح أنه قال:** " **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**" (أخرجه مسلم) ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِب، إنما الشأن أن تُحَب. **وقال الحسن البصري –رحمه الله–:** زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (تفسير ابن كثير:٢/ ٢٥).

و- طاعة الله ورسوله ﷺ عصمة من الزيغ والضلال:

فقد أخرج الحاكم في "المستدرك" والبيهقي في" السنن الكبرى" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ** ". (ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في صحيح الجامع:٢٩٣٧) (الصحيحة:١٧٦١)

وأخرجه الحاكم أيضًا في "المستدرك" والبيهقي في "السنن الكبرى" بسند صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: " **قَدْ يَئِسَ الشَّيْطَانُ بِأَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَاقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ مُسْلِمٌ، الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَلَا تَظْلِمُوا، وَلَا تَرْجِعُوا مِنْ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** ". (صحيح الترغيب والترهيب:٤٠)

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية ﷺ قال: " **وعظَنا رسولُ اللهِ ﷺ موعظةً ذَرفَتْ منها العيونُ ووجِلَتْ منها القلوبُ فقلنا: يا رسولَ اللهِ! إنَّ هذه لموعِظَةَ مُوَدِّعٍ فماذا تعهَدُ إلينا؟ فقال:" تركتُكم على البيضاءِ ليلِها كنهارِها، لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالكٌ، ومن يَعِشْ منكم فسَيَرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بما عرَفتُم من سُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ المهديِّينَ الرَّاشدينَ. وعليكم بالطاعةِ وإن كان عبدًا حبشيًّا، عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ، فإنما المؤمنُ كالجملِ الأَنِفِ، كلما قِيدَ انقَادَ** ".

(صحيح الترغيب والترهيب:٥٩)

ز- طاعة النبي ﷺ سبب للنجاة في الدنيا والآخرة:

فقد أخرج البخاري من حديث أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّما مَثَلِي وَمَثَلُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقالَ: يا قَوْمِ، إنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بعَيْنَيَّ، وإنِّي أنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فأطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِن قَوْمِهِ، فأدْلَجُوا، فانْطَلَقُوا علَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ منهمْ، فأصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فأهْلَكَهُمْ واجْتَاحَهُمْ، فَذلكَ مَثَلُ مَن أطَاعَنِي فاتَّبَعَ ما جِئْتُ بِهِ، ومَثَلُ مَن عَصَانِي وكَذَّبَ بما جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ ".

وفي هذا الحديثِ ضَرَبَ رَسولُ اللهِ ﷺ مَثَلًا لحالِه في دعوتِه ورسالتِه وطاعةِ النَّاسِ لدَعوتِه، ولمَا بَعَثَه اللهُ به وأرسَلَه،" كَمَثَلِ رجُلٍ أتَى قومًا" ليُحذِّرَهم، فقالَ:" يا قَوْمِ، إنِّي رأَيْتُ الجيشَ بعَيْنَيَّ" لِعَدُوٍّ لهُم يعرِفونَه،" وإنِّي أنا النَّذِيرُ العُرْيَانُ"، وهو إشارةٌ لشِدَّةِ الخَطرِ؛ بحيثُ كأنَّه نَزَع ثيابَه ليُنذِرَهم بالإشارةِ بثيابِه، أو هو رجُلٌ جَرَّده العدوُّ فهَرَبَ منهم مُنذِرًا قومَه، فعَلِموا من تَعرِّيه صِدقَ خَبرِه؛ لأنَّهم كانوا يَعرفونه ولا يَتَّهمونه في النَّصيحةِ، ولا جَرَت عادتُه بالتَّعرِّي، فقطَعوا بصِدقِه لهذه القَرائنِ، ثُمَّ صارَ مَثَلًا لكلِّ ما يُخافُ مُفاجَأتُه، فضرَبَ النَّبيُّ ﷺ لنَفسِه ولِما جاءَ به مَثَلًا بذلك؛ لِما أبداه منَ الخوارقِ والمُعجِزاتِ الدَّالَّةِ على القَطعِ بصِدقِه تَقريبًا لإفهامِ المُخاطَبينَ بما يألَفونه ويَعرِفونه.

ثُمَّ نَصحَهم هذا النَّذيرُ أن يَطلُبوا النَّجاءَ والسَّلامةَ من خَطرِ هذا العدوِّ، فانقسَمَ النَّاسُ فَريقَينِ: ففَريقٌ أطاعَه" فأدلَجُوا "، والدُّلجةُ هي الظُّلمةُ، والمَعنى: ساروا من فَورِهم في أوَّلِ اللَّيلِ،" فانطلَقوا" مُبادِرينَ "على مَهلِهم"، أي: بسَكينةٍ وتأنٍّ؛ لأنَّهم أخَذوا وقتَهم من أوَّلِه،" فنَجَوا" منَ العدوِّ، والطَّائفةُ الثَّانيةُ كَذَّبت فتَأخَّروا في الاستجابةِ لهذا النَّذيرِ، ولم يُحاوِلوا اختبارَ صِدقِه من كَذِبِه، فأتَى عليهمُ الصُّبحُ ولم يَسيرُوا من مكانِهم ولم يَبتَعِدوا عنِ الخَطرِ،" فصَبَّحَهُمُ الجيشُ"، أي: هَجَمَ عليهم باكِرًا في الصَّباحِ،" فأهلَكَهم واجْتاحَهم" أي: استأصَلَهم. وهكذا مَن أطاعَ الرَّسولَ ﷺ نَجَا في الدُّنيا والآخِرةِ، ومَن تَرَكَ ما جاءَ به حَلَّت عليه العُقوبةُ في الدُّنيا والآخِرةِ. (الدرر السنية)

حـ- الملائكة يستغفرون ويدعون للمؤمنين الذين يُطيعون الله ورسوله ﷺ:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (سورة غافر:٧)

ط- طاعة اللّه ورسوله ﷺ السبيل لدخول الجنة، والنجاة من النار:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

(سورة النساء:١٣)

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الفتح:١٧)

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (النور:٥٢)

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى".

- *وفي رواية:* " والَّذي نفسي بيدِهِ لتدخلُنَّ الجنَّةَ كلُّكم إلَّا من أبى أو شردَ على اللَّهِ شرادَ البعيرِ. قيلَ: يا رسولَ اللَّهِ! ومن يأبى أن يدخلَ الجنَّةَ؟ فقالَ:" من أطاعني دخلَ الجنَّةَ، ومن عصاني دخلَ النَّارَ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إذا قَرَأَ ابنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطانُ يَبْكِي، يقولُ: يا ويْلَهُ، *وفي رِوايَةِ:* يا ويْلِي، أُمِرَ ابنُ آدَمَ بالسُّجُودِ فَسَجَدَ؛ فَلَهُ الجَنَّةُ، وأُمِرْتُ بالسُّجُودِ فأبَيْتُ؛ فَلِيَ النَّارُ. *وفي رِوايَةِ:* فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ ".

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ رَسولُ اللهِ ﷺ أنَّه إذا قَرَأ ابنُ آدمَ المُسلِمُ القرآنَ ووَصَلَ لقراءةِ آيَةٍ فيها سُجودٌ، فَسجَدَ سُجودَ تِلاوةٍ؛ اعتَزَلَ الشَّيطانُ يَبكي عَلى ما فازَ به ابنُ آدمَ مِن امتِثالِه بالسُّجودِ؛ ويَقولُ وهو يَبكي:" يا وَيلَه!" وَفي رِوايةٍ:" يا وَيْلي"، ومعناه: يا حُزني يا هَلاكي؛ وهذا إظهارٌ للنَّدمِ على ما سبقَ من عِصيانِ الشَّيطانِ لله وعدمِ استجابتِه لأمرِ اللهِ سُبحانَه، بَينَما أُمِرَ ابنُ آدَمَ بالسُّجودِ، فَسجَدَ، فَلَه الجنَّةُ، وسَببُ دُخولِ ابنِ آدمَ الجنَّةَ امتِثالُه لأمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأُمِرَ الشَّيطانُ بالسُّجودِ، فأبَى -وفي رِوايةٍ: فَعصيتُ- فلَه النَّارُ، أي: إنَّه استَحَقَّ النَّارَ لِعَدمِ امتِثالِ أمرِ اللهِ تَعالَى، كما ورَدَ في قولِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ (البقرة:٣٤). فالشَّيطانُ يَتحسَّرُ مرَّاتٍ؛ مَرَّةً لِفَشلِه في مُحاوَلتِه الإيقاعَ بابنِ آدمَ في المعصيةِ، ومَرَّةً لوُقوعِه هو في المَعصيةِ الماحِقةِ، وتَكبُّرِه على أوامرِ اللهِ، ومَرَّةً لاستحقاقِ ابنِ آدمَ المُسلِمِ الجَنَّةَ لطاعتِه اللهَ، بَينَما الشَّيطانُ مَحكومٌ عليه بالطَّردِ والإبعادِ من رحمةِ اللهِ؛ فهَنيئًا للمُؤمِنينَ الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلت قُلوبُهم، وإذا تُليت عليهم آياتُه زادَتهم إيمانًا، وعلى ربِّهم يَتوكَّلونَ. (الدرر السنية)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال: **جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إلى النبيِّ ﷺ وهو نَائِمٌ، فَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقالوا: إنَّ لِصَاحِبِكُمْ هذا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا له مَثَلًا، فَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقالوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وبَعَثَ دَاعِيًا، فمَن أجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، ومَن لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ولَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقالوا: أوِّلُوهَا له يَفْقَهْهَا، فَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقالوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، والدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فمَن أطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فقَدْ أطَاعَ اللَّهَ، ومَن عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فقَدْ عَصَى اللَّهَ، ومُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بيْنَ النَّاسِ ".**

ك- طاعة الله ورسوله ﷺ ليست فقط سبب لدخول الجنة؛ بل هي سبب لسكنى أعالي الجنة مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (سورة النساء:٦٩)

ذكر القرطبي في" تفسيره" والبغوي بسنده: " أن ثوبان رضي الله عنه مولي رسول الله ﷺ كان شديد الحب له، قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه، يعرف في وجهه الحزن، فقال له: يا ثوبان ما غيَّر لونك؟ فقال: يا رسول الله ما بي من ضرٍّ ولا وجع، غير أني إذا لم أركَ اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك؛ لأني عرفت أنك ترفع مع النَّبيين، وإني وإن دخلت الجَنَّة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك، وإن لم أدخلها، فذاك حين لا أراك أبدًا، **فأنزل الله تعالى:** ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (سورة النساء:٦٩) فدعا به، فقرأها عليه.

- **وذكر بعض أهل العلم فوائد وفضائل كثيرة لمن أطاع الله تعالى ورسوله ﷺ ومن هذه الفضائل:**

– الطمأنينة والسكينة وانشراح الصدر، والحصول على السعادة.

– الرضا بقضاء الله وقدره وعدم الكفر أو الاعتراض، فالعبد عندما يطيع الله ورسوله فإنّه يتوكّل على الله ويرضى بكلّ ما يقسمه له ويُشرح صدره، ويُرزق الطمأنينة والاستقرار النفسيّ.

– تحقيق البركة في الرزق والمال، فيُنزل الله تعالى بركته على الأرض.

– الوقاية من الغفلة التي تقود إلى الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.

– تهذيب أخلاق أفراد المجتمع، وإبعادهم عن الشر والمفاسد، وإصلاح جوارحهم، وهذا بكلّ تأكيد يجعل المجتمع أكثر صلاحًا وأقلّ مفسدةً.

– سبب لنصر الله لعباده المؤمنين على أعدائهم، فقد نصر الله رسوله وصحابته الكرام في بدر رغم قلّة عددهم، وكان ذلك بسبب قوة إيمانهم بالله وطاعتهم لرسوله الكريم.

– سببٌ لتفريج الهموم والغموم، ورفع المصائب والابتلاءات.

– التوفيق لحسن الخاتمة، والنجاة من الشدائد في الآخرة.

– الأمان يوم القيامة، والاستظلال بظلّه سبحانه يوم لا ظلّ إلا ظلّه.

– الرفعة في الدرجات في الجنة، والتمتّع بنعيمها الخالد، والنظر إلى وجه الله الكريم، وهذا بحسب إيمان العباد وأعمالهم الصالحة، فكلّما زاد ذلك ارتقى العبد في الجنان والمكانة العالية في الجنة.

١٠- فضل التمسك بهدي النبي ﷺ وسنته:

فقد أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعَظَنَا[١] رسولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وجِلَتْ[٢] منها القلوبُ، وذَرَفَتْ[٣] منها العيونُ، فقلْنَا: يا رسولَ اللهِ! كأَنَّ هذه مَوْعِظَةُ مُودِّعٍ فماذا تَعْهَدُ إلينا؟ فقال: أُوصِيكُمْ بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ، فإنه مَنْ يَعِشْ منكم بعدي فسَيَرَى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتِي، وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ[٤]، وإيَّاكُم ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ". (صحيح الجامع: ٢٥٤٩)

وقوله ﷺ:" تمَسَّكوا بها" أي: بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ، وأفْرَدَ لفظ "بها" مع أنَّها تعودُ على اثنَتَينِ؛ لأنَّهما كشيءٍ واحدٍ،" وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ"، أي: آخِرِ الأضْراسِ؛ يَعني بذلك الجِدَّ في لُزومِ السُّنَّةِ والتَّمسُّكِ بها،" وإيَّاكم"، أي: احْذَروا واجْتَنِبوا،" ومُحْدَثاتِ الأُمورِ"، أي: الأُمورِ الَّتي تَحدُثُ بعد ذلك وتُخالِفُ أصْلَ الدِّينِ؛" فإنَّ كلَّ مُحْدَثَةٍ" في دِينِ اللهِ وشرْعِه،" بِدْعَةٌ"، أي: طَريقةٌ مختَرَعةٌ في الدِّينِ،" وكلَّ بِدعةٍ ضَلالَةٌ"، أي: موجِبَةٌ للضَّلالةِ والغِوايَةِ، ويَضِلُّ بها صاحِبُها.

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ لِكُلِّ عملٍ شِرَّةً[٥]، ولِكُلِّ شِرَّةٍ فترةٌ[٦]، فمنْ كان فترتُهُ إلى سنتي فقدِ اهتدى، ومَنْ كانَتْ إلى غيرِ ذلِكَ فقدْ هَلَكَ ". (صحيح الجامع: ٢١٥٢) (صحيح الترغيب والترهيب:٥٦)

وقوله ﷺ:" فمَن كان فَترتُه"، أي: فمَن كانت فَترةُ خُمولِه وضَعفِه،" إلى سُنَّتي فقد اهْتَدى"، وسُنَّةُ النَّبيِّ ﷺ هي الاقتصادُ والتَّوسُّطُ، مع المُداومةِ والإخلاصِ للهِ، وعدَمِ الرِّياءِ والسُّمعةِ،" ومَن كانت إلى غيرِ ذلك فقد هلَكَ"؛ لأنَّ مَن سلَكَ غيرَ هَدْيِه ﷺ فهو مِن الهالكينَ. وفي الحَديثِ: حثٌّ على لُزومِ السُّنَّةِ.

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الحاكم في "المستدرك" والبيهقي في" السنن الكبرى" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ". (ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في صحيح الجامع:٢٩٣٧) (الصحيحة:١٧٦١)

– *وفي رواية:*" إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا؛ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ ". (صحيح الترغيب والترهيب:٤٠)

١- وعَظَنَا: الوعظ هو التخويف بطريق النصيحة.
٢- وجِلَتْ: بكسر الجيم؛ أي خافت.
٣ - وذَرَفَتْ: بفتح الذال المعجمة والراء المهملة: أي بكت ودمعت.
٤- وعَضّوا عليها بالنَّواجِذِ: أي اجتهدوا على السنة والزموها واحرصوا عليها، كما يلزم العاضّ على الشيء بنواجذه خوفًا من ذهابه وتفلته، والنواجذ: هي الأنياب، وقيل: الأضراس.
٥- شِرَّةً: بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء وبعدها تاء تأنيث؛ أي: نشاطًا وشِدَّةً وحِرْصًا ورغبةً في أوَّلِه، وشرة الشباب: أوله وحدته.
٦- ولكلِّ شِرَّةٍ فَترةٌ: أي: ضعفٌ وخمولٌ وسكونٌ في آخِرِه.

وأخرج ابن ماجه من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " افترقتِ اليَهودُ علَى إحدَى وسبعينَ فرقةً فواحدةٌ في الجنَّةِ وسبعونَ في النَّارِ وافترقتِ النَّصارى علَى ثِنتينِ وسبعينَ فرقةً فإحدَى وسبعونَ في النَّارِ وواحدةٌ في الجنَّةِ والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لتفترِقَنَّ أمَّتي علَى ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً واحدةٌ في الجنَّةِ وثِنتانِ وسبعونَ في النَّار قيلَ يا رسولَ اللَّهِ مَن هم قالَ الجماعَةُ ".

(صحيح ابن ماجه: ٣٢٤١)

وفي روايةِ التِّرمذيِّ مِن حَديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو- رَضِيَ اللهُ عَنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " ما أنا عليه وأصحابي".

وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذَا خطَبَ احْمَرَّتْ عيْنَاهُ، وعَلَا صوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حتَّى كَأنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يقولُ: "صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، ويقولُ: بُعِثْتُ أنَا وَالسَّاعةُ كَهاتَيْنِ، ويَقْرُنُ بيْنَ إصْبَعَيْهِ: السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، ويقولُ: أمَّا بَعْدُ [1]؛ فإنَّ خَيْرَ الحَديثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، ثُمَّ يقولُ: أَنَا أَوْلَى بكُلِّ مُؤْمِنٍ مِن نَفْسِهِ؛ مَن تَرَكَ مَالًا فَلأَهْلِهِ، وَمَن تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا، فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ ".

١١- فضل مَن حقَّق الولاء والبراء:

قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة: ٢٢)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥،٥٦)

١٢- فضل من يحب للناس ما يحبه لنفسه:

أ- المسلم الحق هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي واللفظ له وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من يأخذُ عنِّي هؤلاءِ الكلماتِ فيعملُ بِهنَّ أو يعلِّمُ من يعملُ بِهنَّ قلتُ أنا يا رسولَ اللَّهِ فأخذَ بيدي فعدَّ خمسًا؛ فقالَ: " اتَّقِ المحارمَ تَكن أعبدَ النَّاسِ، وارضَ بما قسمَ اللَّهُ لَك تَكن أغنى النَّاسِ، وأحسِن إلى جارِك تَكن مؤمنًا، وأحبَّ للنَّاسِ ما تحبُّ لنفسِك تَكن مسلِمًا، ولا تُكثرِ الضَّحِك فإنَّ كثرةَ الضَّحِك تُميتُ القلبَ ".

١- أمَّا بعدُ: وهي كَلمةٌ يُفصَلُ بها بيْن الكَلامين عندَ إرادةِ الانتقالِ مِن كَلامٍ إلى غيرِه، والمعنى: أقولُ بعدَ ما تَقدَّمَ مِن التَّشهُّدِ والثَّناءِ على اللهِ سُبحانه وتعالَى.

- *وفي رواية:* " يا أبا هريرة! كُنْ وَرِعًا[1] تَكُنْ من أَعْبَدِ الناسِ، وارْضَ بما قسم اللهُ لكَ تَكُن من أَغْنَى الناسِ، وأَحِبَّ للمسلمينَ والمؤمنينَ ما تُحِبُّ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ، واكْرَهْ لهم ما تَكْرَهُ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ تَكُنْ مؤمنًا، وجاوِرْ مَن جاوَرْتَ بإحسانٍ تَكُنْ مُسْلِمًا، وإياكَ وكثرةَ الضَّحِكِ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ فسادُ القلبِ". (صحيح الجامع: ٧٨٣٣)

ب- لا يكتمل إيمان العبد حتى يحب للناس ما يحبه لنفسه:

فقد أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ[2]، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ".

وأخرجه النسائي بلفظ: " والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ من الخيرِ ". (صحيح النسائي: ٥٠٣٢)

- *وفي رواية لابن حبان بلفظ:* " لا يبلغُ العبدُ حقيقةَ الإيمانِ حتَّى يحبَّ للنَّاسِ ما يحبُّ لنفسِهِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٧٨٠)

جـ- خير الناس من يرجو الخير للناس ويحبه لهم:

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ وقفَ على أُناسٍ جُلوسٍ، فقالَ:" ألا أخبرُكُم بخيرِكُم من شرِّكم؟ قالَ: فسَكَتوا، فقالَ ذلِكَ ثلاثَ مرَّاتٍ، فقالَ رجلٌ: بلَى يا رسولَ اللَّهِ، أخبِرنا بخيرِنا من شرِّنا، قالَ:" خيرُكُم مَن يُرجَى خيرُهُ ويُؤمَنُ شرُّهُ، وشرُّكم من لا يُرجَى خيرُهُ ولا يُؤمَنُ شرُّهُ ". (صحيح الترمذي: ٢٢٦٣) (صحيح الجامع: ٣٣٢٠)

د- الفوز بالجنة والنجاة من النار لمن يحب للناس ما يحبه لنفسه:

فقد أخرج الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ حُجَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِي قَالَ: لَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ عَرَفَةَ وَالْمُزْدَلِفَةِ، فَأَخَذْتُ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ فَقَالَ:" أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتَ أَوْجَزْتَ الْمَسْأَلَةَ لَقَدْ أَعْظَمْتَ وَأَطْوَلْتَ: أَقِمِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَأَدِّ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَحُجَّ الْبَيْتَ، وَمَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَفْعَلَهُ النَّاسُ بِكَ فَافْعَلْهُ بِهِمْ، وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يَفْعَلَهُ النَّاسُ بِكَ فَدَعِ النَّاسَ مِنْهُ، خَلِّ زِمَامَ النَّاقَةِ ". (فِي إِسْنَادِهِ قَزَعَةُ بْنُ سُوَيْدٍ، وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ، وَضَعَّفَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ)

١- والوَرَعُ: هو اجْتِنابُ الشُّبُهاتِ؛ خوْفًا من الوُقوعِ في المُحرَّماتِ.
٢- لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ: والنفيُ هنا لا يُقصَدُ به نفْيُ أصلِ الإيمانِ، وإنَّما نفْيُ الكَمالِ.

١٣- فضل أداء الفرائض:

أ- إداء الفرائض أفضل ما يتقرب به العبد من ربه تعالى.

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قالَ اللَّهَ تعالى: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في" فتح الباري:١١/ ٣٥١": " وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به: امتثال الأمر، واحترام الأمر وتعظيمه بالانقياد إليه، وإظهار عظمة الربوبية، وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل ".

ب- إداء الفرائض سبيل لدخول الجنة والبعد عن النار.

فقد أخرج الترمذي عن معاذ بن جبل ﷺ قال: " قلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يُدخلني الجَنَّة ويباعدني عن النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على مَن يَسَّرَهُ الله تعالى عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت...". الحديث.

– *وفي رواية عند مسلم من حديث جابر ﷺ قَالَ:* " أنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسولَ اللهِ ﷺ، فقالَ: أرَأَيْتَ إذا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوباتِ، وصُمْتُ رَمَضانَ، وأَحْلَلْتُ الحَلالَ، وحَرَّمْتُ الحَرامَ، ولَمْ أزِدْ علَى ذلكَ شيئًا، أأَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ قالَ النبي ﷺ:" نَعَمْ "، قالَ: واللَّهِ لا أزِيدُ علَى ذلكَ شيئًا ".

– *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ:* " أن أعرابيًا أتى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله! دُلني على عملٍ إذا عملتُه دخلت الجَنَّة، قال: تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولَّى، قال النبي ﷺ: مَن سَرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجَنَّة، فلينظر إلى هذا ".

– *وأخرج الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال:* " اتقوا الله، وصَلُّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأَدُّوا زكاة أموالِكم، طيبة بها أنفسكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنَّة ربكم ".
(صحيح الجامع: ١٠٩)

١٤- فضل الأعمال الصالحة من الصلاة والصيام:

فقد أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ قال: " كان رجلان من قضاعة، أسلما مع النبي ﷺ، فاستُشْهد أحدهما، وأُخِّرَ الآخَرُ سنة، فقال طلحة بن عبيد الله: فأُريتُ الجَنَّة، فرأيت المُؤخَّر منها أُدْخِل الجَنَّة قبل الشهيد؛ فتعجبت لذلك!! فأصبحتُ فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ- أو ذُكِرَ ذلك لرسول ﷺ- فقال رسول الله ﷺ:" أليس قد صام بعده رمضان؟ وصلَّى ستة آلاف ركعة؟ وكذا وكذا ركعة صلاة سنة"، قالوا: بلي، قال: فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٧٣)

- *وأخرج ابن خزيمة من حديث عمرو بن مرة الجهني ﷺ قال:* " جاء رسول الله ﷺ رجلٌ من قضاعة، فقال له: إن شهدتُ أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصلَّيت الصلوات، وصُمْتُ الشهر، وقُمتُ رمضان، وآتيت الزكاة؟ فقال النبي ﷺ: مَن مات على هذا كان من الصدِّيقين والشهداء ".

قال ابن خزيمة-رحمه الله-: " استحقاق قائمة اسم الصدِّيقين والشهداء إذا جمع مع قيام رمضان صيام نهاره، وكان مقيمًا للصلوات الخمس، مؤدِّيًا للزكاة، شاهدًا لله بالوحدانية، مُقرًّا للنبي ﷺ بالرسالة ".

١٥- فضل مَن جمع بين صيام، وصلاة جنازة، وصدقة، وعيادة مريض في يوم واحد:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمَن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمَن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمَن عاد منكم اليوم مريضًا؟ فقال أبو بكر: أنا، قال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجَنَّة ".

١٦- فضل خمس أعمال مَن عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجَنَّة:

جاء ذكرها في الحديث الذي أخرجه أبو يعلى وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: " خمسٌ مَن عملهن في يومٍ كتبه الله من أهل الجَنَّة: مَن صام يوم الجمعة [١]، وراح إلى الجمعة، وعاد مريضًا، وشهد جنازة، وأعتق رقبة ". (صحيح الجامع: ٣٢٥٢)

١٧- فضل أي عمل طيب يبتغى به وجه الله:

أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنك لن تُخَلَّفَ فتعمل عملًا تبتغي به وجه الله؛ إلا ازددت درجةً ورفعةً ".

١-" مَن صام يوم الجمعة": قال الألباني: يعني اتفاقًا لا قصدًا، كما في رواية لأبي يعلى: " مَن وافق صيامه يوم الجمعة"

١٨- فضل المداومة على العمل الصالح وإن قل:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يَحْتَجِرُ [١] حَصِيرًا باللَّيْلِ فيُصَلِّي عليه، ويَبْسُطُهُ بالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عليه، فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ [٢] إلى النَّبيِّ ﷺ فيُصَلُّونَ بصَلَاتِهِ حتَّى كَثُرُوا، فأقْبَلَ فَقالَ:" يا أيُّها النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الأعْمَالِ ما تُطِيقُونَ؛ فإنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا، وإنَّ أحَبَّ الأعْمَالِ إلى اللَّهِ ما دَامَ وإنْ قَلَّ ".

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:" سَدِّدوا، وقارِبوا، واعلموا أنه لن يُدخِلَ أحدَكم عملُه الجنَّةَ، وأنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى الله أدومُها وإن قلَّ ".

وأخرج البخاري أن علقمة النخعي أتى عائشة -رضي الله عنها- يسألها عن عمل النبي ﷺ فقال علقمة:" قُلتُ لِعَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: هلْ كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَخْتَصُّ مِنَ الأيَّامِ شيئًا؟ قالَتْ: لَا، كانَ عَمَلُهُ دِيمَةً ".

١٩- فضل تزكية النفس:

من لزم طريق الهدى شفاه الله من الأهواء والأدواء، وبذلك يحصل فلاحه في الدنيا والآخرة، ولا يحصل له ذلك إلا بتوفيق وإعانة من المولى سبحانه. **قال تعالى:** ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور:٢١)

وكان النبي ﷺ يتضرع إلى ربه في طلب التقوى وتزكية النفس فيقول:" **اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**". (أخرجه مسلم).

أ- التزكية سبب لسعادة الإنسان وفلاحه في الدنيا والآخرة:

فعندما يجاهد الإنسان نفسه التي تأمره بالسوء، ويسعى إلى تخليتها من الأخلاق المذمومة، وتحليتها بالأخلاق المحمودة، فإن ذلك يترتب عليه سعادته وفلاحه ونجاحه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الشمس:٩، ١٠)

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (الأعلى:١٤، ١٥)

فعلق الله تعالى الفلاح على من زكّى نفسه وطهّر قلبه من كل خلق سافل، وذكر اسم ربه فصلى وتحلى بالفضائل، وجعل الخيبة والخسارة على من دسَّى نفسه فغمسها بالرذائل.

ب- التزكية سبب لدخول الجنة والنجاة والوقاية من النار:

قال تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (سورة طه:٧٦)

١- يَحْتَجِرُ: أي يتخذه حجرة وناحية ينفرد عليه فيها.
٢- يَثُوبُونَ: أي يرجعون إليه ويجتمعون عنده.

٢٠- فضل من طال عمره وحسن عمله:

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث ﷺ قال: أنَّ رجلًا قالَ: يا رسولَ اللَّهِ! أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قالَ: مَن طالَ عمرُهُ، وحسنَ عملُهُ، قالَ: فأيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قالَ: مَن طالَ عمرُهُ وساءَ عملُهُ ".

(صحيح الترمذي: ٢٣٣٠)

أخرج والترمذي من حديث أبي صفوان عبدِ الله بن بُسْرٍ الأسلمي ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: " خيرُ الناسِ مَنْ طالَ عمرُه وحَسُنَ عملُه...". (صحيح الجامع: ٣٢٩٧)

– *وفي رواية:* عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ:" مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ".

قَالَ الطِّيبِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: " إِنَّ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ كَرَأْسِ الْمَالِ لِلتَّاجِرِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَّجِرَ فِيمَا يَرْبَحُ فِيهِ وَكُلَّمَا كَانَ رَأْسُ مَالِهِ كَثِيرًا كَانَ الرِّبْحُ أَكْثَرَ، فَمَنِ انْتَفَعَ مِنْ عُمُرِهِ بِأَنْ حَسُنَ عَمَلُهُ فَقَدْ فَازَ وَأَفْلَحَ، وَمَنْ أَضَاعَ رَأْسَ مَالِهِ لَمْ يَرْبَحْ وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ". (تحفة الأحوذي للمباركفوري)

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ قال: " كان رجلان من قضاعة، أسلما مع النبي ﷺ، فاستُشْهِد أحدهما، وأُخِّرَ الآخَرُ سنة، فقال طلحة بن عبيد الله: فأُريتُ الجَنَّة، فرأيت المُؤَخَّر منها أُدْخِل الجَنَّة قبل الشهيد؛ فتعجبت لذلك!! فأصبحتُ فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ– أو ذُكِرَ ذلك لرسول ﷺ– فقال رسول الله ﷺ:" أليس قد صام بعده رمضان؟ وصلَّى ستة آلاف ركعة؟ وكذا وكذا ركعة صلاة سنة"، قالوا: بلي، قال:" فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٧٣)

وأخرجه ابن ماجه أيضًا من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ قال: أنَّ رَجُلَيْنِ من بَلِيٍّ قَدِما على رسولِ اللهِ ﷺ وكان إسْلامُهُما جَميعًا فكانَ أحدُهُما أشَدَّ اجْتِهادًا مِنَ الآخَرِ فغَزَا المُجْتَهِدُ مِنْهُما فاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الآخَرُ بعدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قال طلحةُ: فرأيْتُ في المنامِ بَيْنا أنا عندَ بابِ الجنةِ إذا أنا بِهِما فخَرَجَ خارِجٌ مِنَ الجنةِ فأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الآخِرَ مِنْهُما، ثُمَّ خرجَ فأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رجعَ إلَيَّ فقال: ارْجِعْ فإنَّكَ لمْ يَأْنِ لكَ بَعْدُ، فَأصبحَ طلحةُ يُحَدِّثُ بهِ الناسَ فعَجِبُوا لِذلكَ، فَبَلَغَ ذلكَ رسولَ اللهِ ﷺ وحَدَّثُوهُ الحَدِيثَ فقال:" من أَيِّ ذلكَ تَعْجَبُونَ؟ فقَالُوا: يا رسولَ اللهِ! هذا كان أَشَدَّ الرجلَيْنِ اجْتِهادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، ودخلَ هذا الآخِرُ الجنةَ قبلَهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" أليسَ قد مَكَثَ هذا بعدَهُ سَنَةً؟ قالوا: بلى، قال:" وأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصامَ وصلَّى كذا وكذا من سَجْدَةٍ في السَّنَةِ"، قالوا: بلى، قال رسولُ اللهِ ﷺ:" فما بينَهُما أَبْعَدُ مِمَّا بين السَّماءِ والأرضِ ". (صحيح ابن ماجه: ٣١٨٥)

– *وفي روايةِ الإمامِ أحمدَ أن النَّبيَّ ﷺ قال لطَلْحةَ:* " وما أنكَرْتَ مِن ذلك؟! ليس أحدٌ أفضلَ عند اللهِ من مُؤمنٍ يُعَمَّرُ في الإسلامِ؛ لتَسبيحِه، وتكبيرِه، وتَهليلِه ". (صحيح الجامع: ٥٣٧١) (الصحيحة:٦٥٤)

٢١- فضل اجتناب الكبائر:

قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١)

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ، ورَمَضانُ إلى رَمَضانَ، مُكَفِّراتٌ ما بيْنَهُنَّ إذا اجْتَنَبَ الكَبائِرَ ".

أخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من جاء يعبُدُ اللهَ ولا يُشرِكُ به شيئًا، ويُقيمُ الصَّلاةَ ويُؤتي الزَّكاةَ، ويصومُ رمضانَ ويجتنِبُ الكبائرَ، كان له الجنَّةُ، فسألوه عن الكبائرِ فقال: الإشراكُ باللهِ، وقتلُ النَّفسِ المسلمةِ، والفرارُ يومَ الزَّحفِ ".

(صحيح الجامع: ٦١٨٥) (صحيح النسائي: ٤٠٢٠)

وأخرج الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنهما- قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: " لَا أُقْسِمُ، لَا أُقْسِمُ "، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ: " أَبْشِرُوا، أَبْشِرُوا، مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَاجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ؛ دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ". قَالَ الْمُطَّلِبُ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْأَلُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو: أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُهُنَّ؟ قَالَ: نَعَمْ، عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَأَكْلُ الرِّبَا ".(صحيح الترغيب والترهيب:١٣٤٠)

أخرج الترمذي والنسائي من حديث أبي هُريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما قال عبدٌ لا إلهَ إلَّا اللهُ قطُّ مخلِصًا، إلَّا فُتِحَتْ له أبوابُ السماءِ، حتى تُفْضِيَ إلى العرشِ، ما اجتُنِبَتِ الكبائرُ ".

(صحيح الترمذي: ٣٥٩٠)(صحيح الجامع: ٥٦٤٨)(صحيح الترغيب والترهيب:١٥٢٤)

٢٢- فضل نشر العلم:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث زيد بن ثابت ﷺ عن النبي ﷺ قال: " نضَّرَ[١] اللَّهُ امرًا سمِعَ منَّا حديثًا، فحفِظَهُ حتَّى يبلِّغَهُ غيرَهُ، فرُبَّ حاملِ فقهٍ ليسَ بفَقيهٍ ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ ". (صحيح الجامع: ٦٧٦٣) (صحيح الترغيب والترهيب: ٩٠)

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه واللفظ له من حديث جبير بن مطعم ﷺ قال: قامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالخيفِ[٢] من منًى[٣]، فقالَ: نضَّرَ اللَّهُ امرًا سمِعَ مقالتي، فبلَّغَها، فرُبَّ حاملِ فِقهٍ، غيرُ فقيهٍ، وربَّ[٤] حاملِ فِقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منهُ ". (صحيح الترغيب والترهيب:٩١) (صحيح الجامع: ٦٧٦٦)

١- نَضَّرَ: بتشديد الضاد المعجمة وتخفيفها، حكاه الخطابي، ومعناه: الدعاء له بالنضارة، وهي النعمة والبهجة والحسن، فيكون تقديره جمله الله وزينه، وقيل: مِن النَّضارةِ، وهي الحُسْنُ والرَّوْنَقُ، وهذا دُعاءٌ أن يُحسِنَ اللهُ خَلْقَه، ويَرْفَعَ قَدْرَه.
٢- الخَيفُ: كلُّ ما انْحدَر مِن الجبَلِ، وارتَفَع عن الْمَسيلِ،
٣- مِنًى: وادٍ قُربَ الحرَمِ المكِّيِّ يَنزِلُه الحُجَّاجُ لِيَرْموا فيه الجِمارَ،
٤- رُبَّ: تُستعمَلُ للتَّقليلِ والتَّكثيرِ، والمعنى: فكَثيرًا أو قَليلًا ما يكونُ الرَّاوي السَّامِعُ ليس عالِمًا ولا فَقيهًا، ولكنَّه يَحفَظُ السُّنَّةَ ويَنقُلُها إلى غيرِه بِمَن فيهم العُلَماءُ والفُقهاءُ الَّذين يَستنبِطونَ الأحكامَ.

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
" **نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ منَّا شيئًا، فبلَّغَهُ كما سمعَ، فرُبَّ مبلِّغٍ أوعى من سامِعٍ**".
(صحيح الجامع: ٦٧٦٤) (صحيح الترمذي: ٢٦٥٧)

يقول ابن القيم-رحمه الله- في" كتابه مفتاح دار السعادة:١/٢٧٤" عند شرحه لهذا الحديث:" إن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وبلغه بالنضرة- وهي البهجة ونضارة الوجه وتحسينه- ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفا؛ فإن النبي ﷺ دعا لمن حفظ كلامه ووعاه، وحفظه وبلغه، وهذه هي مراتب العلم. **أولها وثانيها**: سماعه وعقله؛ فإذا سمعه وعاه بقلبه؛ أي: عقله واستقر قلبه كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه، وكذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوها حتى لا تشرد وتذهب، ولهذا كان الوعي والعقل قدرا زائدا على مجرد إدراك المعلوم. **المرتبة الثالثة:** تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب. **المرتبة الرابعة:** تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده؛ وهو بثه في الأمة، فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه وهو معرض لذهابه، فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب، فإن أنفق منه نما وزكا على الإنفاق. فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن، فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به وفرح القلب وسروره والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه، ولهذا يجمع له سبحانه بين السرور والنضرة، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (الإنسان:١١) فالنضرة في وجوههم، والسرور في قلوبهم، فالنعيم وطيب القلب يظهر نضارة في الوجه، كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (المطففين:٢٤) والمقصود أن هذه النضرة في وجه من سمع سنة رسول الله ﷺ ووعاها وحفظها وبلغها-هي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه وباطنه.

وقوله ﷺ:" **ربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه**" تنبيه على فائدة التبليغ، وأن المُبلِّغ قد يكون أفهم من المبلغ، فيحصل له في تلك المقالة ما لم يحصل للمبلغ. أو أن يكون المعنى: أن المبلغ قد يكون أفقه من المبلغ، فإذا سمع تلك المقالة حملها على أحسن وجوهها واستنبط فقهها وعلم المراد منها. اهـ باختصار

٢٣- ثواب هذا العلم يصل إلى من نشره بعد موته ما دام يعمل به.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ (يس:١٢)

– *وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* "إنَّ مِمَّا يلحقُ المؤمنَ من عملِهِ وحسناتِه بعدَ موتِه؛ عِلمًا علَّمَه ونشرَه[1]، وولدًا صالحًا ترَكَه، ومُصحفًا ورَّثَه، أو مسجِدًا بناهُ، أو بيتًا لابنِ السَّبيلِ بناهُ، أو نَهرًا أجراهُ، أو صدَقةً أخرجَها من مالِه في صِحَّتِه وحياتِه يَلحَقُهُ من بعدِ موتِهِ". (صحيح الجامع: ٢٢٣١) (صحيح ابن ماجه: ٢٠٠)

ماتوا وغُيِّب في التراب شخوصهم   فالنَّشْر مسكٌ والعظام رميم

– *وأخرج البزار عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته، من علم علمًا، أو أجرى نهرًا –*وفي رواية:* أو كرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته ". (صحيح الجامع: ٣٦٠٢).

– *وأخرج الإمام أحمد والبزار عن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:* " أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطًا في سبيل الله، ومن علم علمًا، أُجرى له عمله ما عُمل به، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت، ورجل ترك ولدًا صالحًا يدعو له".

(صحيح الجامع: ٨٧٧) (صحيح الترغيب والترهيب:١١٤)

يقول عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله–: قلت لأبي أتهجد بالليل أو اكتب العلم، فقال: اكتب العلم ".

قال الحافظ الدمياطي –رحمه الله– تعليقا على كلام الإمام أحمد –رحمه الله–: وإنما قال له ذلك لأن كتابة العلم يتعدى نفعها إلى غيره فله أجره وأجر من انتفع بذلك في حياته وبعد موته أبدًا، وأما التهجد فليس له إلا أجره فقط. والله أعلم ". اهـ

فالحديث السابق من أعظم الأدلة على شرف العلم وفضله، وعظم ثمرته، فإن ثوابه يصل إلى المؤمن بعد موته مادام يُنْتَفع به، فكأنه حي لم ينقطع عمله.

– *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:* " إذا مات الإنسان انقطع عملُهُ إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له ".

– *وفي رواية:* " إذا مات ابن آدم انقطع عملُهُ إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له ".

١ـ عِلْمًا علَّمه ونشَرَهُ: أي أبرَزَه وأظهَرَه وأوصَلَه للنَّاسِ بأيِّ صُورةٍ من الصُّورِ، سواءٌ بالتَّدريسِ والتَّأليفِ والكِتابةِ، أو غيرِ ذلك.

قال النووي -رحمه الله- في" شرحه على مسلم:١١/٨٥": "قوله ﷺ: " **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**". **قال العلماء:**" معنى الحديث: أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، كذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية؛ وهي الوقف. وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح، وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه، وبيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع، وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت، وكذلك الصدقة، وهما مجمع عليهما، وكذلك قضاء الدين ". اهـ

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:" وناسخ العلم النافع له أجره وأجر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه والعمل به لهذا الحديث وأمثاله، وناسخ غير النافع مما يوجب الإثم عليه وزره ووزر من قرأه، أو نسخه، أو عمل به من بعده ما بقي خطه، والعمل به ". والله أعلم

٢٤- فضل تعليم الناس الخير:

أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال:" **ذُكِرَ لرَسولِ اللهِ ﷺ رجُلانِ؛ أحدهما عابدٌ، والآخَرُ عالِمٌ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" فضلُ العالِمِ على العابِدِ كفضلي على أدناكم، ثمَّ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ:" إنَّ اللَّهَ وملائِكتَهُ وأَهلَ السَّماواتِ والأرضِ حتَّى النَّملةَ في جُحرِها وحتَّى الحوتَ ليصلُّونَ على معلِّمِ النَّاسِ الخيرَ** ". (صحيح الترمذي: ٢٦٨٥) (صحيح الجامع:١٨٣٨)

وأخرج ابن ماجه والطبراني من حديث معاذ بن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" **مَن علَّمَ عِلمًا فلَه أجرُ من عَمِلَ بِه، لا ينقُصُ من أجْرِ العامِلِ** ". (صحيح ابن ماجه: ١٩٨)(صحيح الجامع:٦٣٩٦)

وأخرج ابن حبان والطبراني من حديث أبو أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" **من غدا إلى مسجدٍ لا يريدُ إلا أن يتعلَّمَ خيرًا أو يُعلِّمَه، كان له كأجرِ حاجٍّ، تامًّا حجَّتُه** ". (صحيح الترغيب والترهيب:٨٦)

- وأخرج ابن ماجه واللفظ له وابن خزيمة وابن حبان من حديث أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" **خيرُ ما يخلِّفُ الرَّجُلُ من بعدِه ثلاثٌ: ولدٌ صالِحٌ يدعو لَه، وصَدَقةٌ تجري يبلغُهُ أجرُها، وعِلمٌ يُعمَلُ به من بعدِهِ** ". - *وفي رواية:* **وعلم ينتفع به من بعده** ". (صحيح الجامع: ٣٣٢٦) (صحيح ابن ماجه: ١٩٩)

٢٥- فضل مجالس العلم:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله[١]، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة[٢]وغشيتهم الرحمة[٣] وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده[٤]، ومن بطأ به عملُهُ[٥]، لم يسرع به نسبُهُ** ".

وأخرج الإمامُ أحمدُ والبزار وأبو يعلى عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: " **ما مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ، لا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا ناداهُمْ مُنادٍ مِنَ السَّماءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ** ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٠٤)

- *وفي رواية:* " **ما جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ تعالى إِلَّا ناداهم مُنادٍ مِنَ السَّماءِ: قُوموا مَغفورًا لكم** ".

(صحيح الجامع: ٥٦٠٩)

وعند الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب عن سهل بن الحنظلية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" **ما جلَسَ قومٌ [مجلِسًا] يذْكُرونَ اللهَ تعالى فيقومونَ حتَّى يُقالَ لهم: قوموا قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ ذنوبَكُمْ، وبُدِّلَتْ سيئاتُكُمْ حسناتٍ** ". (الصحيحة: ٢٢١٠) (صحيح الجامع: ٥٦١٠) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٠٦)

- *وفي رواية:* " **ما اجتمع قومٌ على ذِكرٍ فتفرَّقوا عنه إلا قيل لهم: قوموا مغفورًا لكم** ".

(صحيح الجامع: ٥٥٠٧)

- *وفي رواية عند مسلم عَنْ أبي هُرَيْرَةَ وأبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ- رضي الله عنهما- أَنَّهُما شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أنه قال:* " **لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ -عز وجل- إِلَّا حَفَّتْهُم الملائِكةُ، وَغَشِيَتْهُم الرَّحْمةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينةُ، وَذَكَرَهُم اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ** ".

- *عند ابن ماجه بلفظ:* " **ما جلس قومٌ مجلسًا يذكرونَ اللهَ فيه إلَّا حفتهُم الملائكةُ، وتغشتهُمُ الرحمةُ، وتنزلَتْ عليهم السكينةُ، وذكرَهُم اللهُ فيمن عندَه** ". (صحيح ابن ماجه: ٣٠٧٣)

وأخرج الإمام مُسْلِمٌ مِنْ حديث مُعاوِيَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحابِهِ فقال: " **ما أَجْلَسَكُمْ؟**"، **قالُوا: جَلَسْنا نَذْكُرُ اللهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى ما هَدانا لِلْإِسْلامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنا، قال:" آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟"، قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنا إِلَّا ذاكَ، قال:" أَما إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ[٦]، وَلَكِنَّهُ أَتاني جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ عز وجل يُباهِي بِكُمُ الملائِكةَ[٧]** ".

١- في بيت من بيوت الله: أي: مسجد أو مدرسة أو رباط فلذلك لم يقل من المساجد.
٢- السكينة: ما يسكن إليه القلب من الطمأنينة والوقار والثبات وصفاء القلب. وهذه السَّكينةُ نِعمةٌ عَظيمةٌ مِن اللهِ تَعالَى، قالَ عنها: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} (الفتح: ٤).
٣- وغشيَتْهُم الرحمة: أي عمَّتْهُمُ رحمةٌ مِنَ اللهِ وأحاطَتْ بهم مِن كلِّ جانبٍ.
٤- وذَكَرَهمُ اللهُ فيمَن عِندَهُ: أي يُباهِي بِهم مَن عِندَهُ في المَلأِ الأَعلَى مِن المَلائكةِ المُقرَّبين.
٥- من بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه: معناه: من كان عمله ناقصا لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال فينبغي ألا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل، بل يقدم العامل بالطاعة ولو كان عبدا حبشيا، على غير العامل ولو كان شريفا قرشيا. وهذا معنى قوله تعالى (إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات:١٣)
٦ - وقوله " لم أستحلفكم تهمة لكم" قال النووي -رحمه الله-: هي بفتح الهاء وإسكانها، وهي فُعْلَةٌ وفُعَلَةٌ من الوهم، والتاء بدل الواو، واتَّهمتُه به إذا ظننت به ذلك.
٧ - وقوله " إن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة" معناه: يظهر فضلكم لهم، ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم، وأصل البهاء الحسن والجمال، وفلان يباهي بماله أي يفخر، ويتجمل بهم على غيرهم ويظهر حسنهم. (شرح النووي على مسلم:٢٣/١٧)

قال ابن القيم-رحمه الله- في كتابه" مفتاح دار السعادة:١/٢٩٠": " إن الله تبارك وتعالى يباهي ملائكته بالقوم الذين يتذاكرون العلم، ويذكرون الله ويحمدونه على ما من عليهم به منه. وهؤلاء- الذين ورد ذكرهم في الحديث- كانوا قد جلسوا يحمدون الله ﷻ بذكر أوصافه وآلائه، ويثنون عليه بذلك، ويذكرون حسن الإسلام، ويعترفون لله بالفضل العظيم إذ هداهم له ومن عليهم برسوله. وهذا أشرف علم على الإطلاق، ولا يعني به إلا الراسخون في العلم؛ فإنه يتضمن معرفة الله وصفاته وأفعاله، ودينه، ورسوله، ومحبة ذلك، وتعظيمه والفرح به، وأحرى بأصحاب هذا العلم أن يباهي الله بهم الملائكة. وقد بشر النبي ﷺ الرجل الذي كان يحب سورة الإخلاص، وقال: أحبها لأنها صفة الرحمن ﷻ، فقال:" **حبك إياها أدخلك الجنة**". (رواه البخاري) **وفي لفظ آخر عند البخاري ومسلم:**" **أخبروه أن الله يحبه**". فدل على أن من أحب صفات الله أحبه الله وأدخله الجنة ". اهـ

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُمْ، قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلى السَّماءِ الدُّنْيا[1]، قالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -وهو أعْلَمُ منهمْ- ما يَقولُ عِبادِي؟ قالوا: يَقولونَ: يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ، ويَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدُونَكَ، قالَ: فيَقولُ: هلْ رَأَوْنِي؟ قالَ: فيَقولونَ: لا واللَّهِ ما رَأَوْكَ، قالَ: فيَقولُ: وكيفَ لو رَأَوْنِي؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْكَ كانُوا أشَدَّ لكَ عِبادَةً، وأَشَدَّ لكَ تَمْجِيدًا وتَحْمِيدًا، وأَكْثَرَ لكَ تَسْبِيحًا، قالَ: يقولُ: فَما يَسْأَلُونِي؟ قالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها، قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو أنَّهُمْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو أنَّهُمْ رَأَوْها كانُوا أشَدَّ عليها حِرْصًا، وأَشَدَّ لها طَلَبًا، وأَعْظَمَ فيها رَغْبَةً، قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قالَ: يقولونَ: مِنَ النَّارِ قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها، قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْها كانُوا أشَدَّ مِنْها فِرارًا، وأَشَدَّ لها مَخافَةً، قالَ: فيَقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قدْ غَفَرْتُ لهمْ، قالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فيهم فُلانٌ ليسَ منهمْ، إنَّما جاءَ لِحاجَةٍ، قالَ: هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَى بهِمْ جَلِيسُهُمْ ".**

قال عطاء بن أبي رباح -رحمه الله-: " مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، أي مجالس العلم ".
وقال القرطبي-رحمه الله-: مجالس الذكر يعني مجالس علم وتذكير، وهي المجالس التي يذكر فيها كلام الله، وسنة رسوله ﷺ، وأخبار السلف الصالح، وكلام الأئمة الزّهاد المتقدمين المبرأة من التصنع والبدع، والمنزهة عن المقاصد الرديئة والطمع.

١ـ فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلى السَّماءِ الدُّنْيا: أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا.

٢٦- فضل الخروج لطلب العلم:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أبي الدرداء ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهَّل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العَالِم ليستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العَالِم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارا ولا درهما إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٧٠) (صحيح الجامع: ٦٢٩٧)

وفي رواية عند الإمام مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: " من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة ". (صحيح الجامع: ٦٢٩٨)

وقول النبي ﷺ: " ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ". فالجزاء من جنس العمل، فكما سلك طريقا يطلب فيه حياة قلبه ونجاته من الهلاك سلك الله به طريقا يحصل له ذلك.

في أحاديث سابقة تجد أن الملائكة تحف طالب العلم بأجنحتها، والحف بالأجنحة: حفظ وحماية وصيانة، وأما هذا الحديث– وهو وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم– فهذا يدل على تواضع وتوقير وتبجيل طالب العلم. فتضمن هذا تعظيم الملائكة لطالب العلم وحبها إياه وحياطته وحفظه، فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفا وفضلا.

قال ابن جماعة –رحمه الله–: واعلم أنه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له وتضع له أجنحتها، وإنه لينافس في دعاء الرجل الصالح أو من يظن صلاحه فكيف بدعاء الملائكة ".

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن زرِّ بنِ حُبَيشٍ قال: أتَيْتُ صَفْوانَ بنَ عسَّالٍ المُراديَّ قال: ما جاء بكَ؟ قال: جِئْتُ أنبِطُ العِلمَ[1]، قال: فإنِّي سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:" ما مِن خارجٍ يخرُجُ مِن بيتِه يطلُبُ العِلمَ إلَّا وضَعَتْ له الملائكةُ أجنحتَها رضًا بما يصنَعُ ". (صحيح ابن حبان: ٨٥)

وأخرج ابن حبان في" المجروحين" والطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:" من غدا إلى مسجدٍ لا يريدُ إلا أن يتعلَّمَ خيرًا أو يُعلِّمَه، كان له كأجرِ حاجٍّ، تامًّا حجَّتُه ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٨٦)

وأخرج ابن ماجه وأحمد من حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن جاءَ مَسجِدي هذا، لم يَأتِهِ إلَّا لِخيرٍ يتعلَّمُهُ أو يعلِّمُهُ، فَهوَ بمنزلةِ المجاهِدِ في سبيلِ اللَّهِ، ومن جاءَ لغيرِ ذلِكَ فَهوَ بمنزلةِ الرَّجُلِ ينظُرُ إلى متاعِ غيرِهِ ". (صحيح ابن ماجه: ١٨٧) (صحيح الجامع:٦١٨٤)

١- أنبِطُ العِلمَ: أي أطلبه وأستخرجه.

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث أبي هُريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **من دخلَ مسجِدَنا هذا ليتعلَّمَ خيرًا، أو ليعلِّمَهُ، كانَ كالمُجاهدِ في سَبيلِ اللَّهِ، ومَن دخلَهُ لغيرِ ذلِكَ، كانَ كالنَّاظرِ إلى ما ليسَ لَهُ** ". (قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن)

ووجْهُ مُشابَهةِ طلَبِ العِلمِ بالمُجاهِدِ في سَبيلِ اللهِ مِن حيثُ إنَّ كُلًّا مِنهما يُريدُ إعْلاءَ كلمةِ اللهِ العُليا، أو لأنَّ كُلًّا مِن العِلمِ والجِهادِ قد يَكونُ فرْضَ عينٍ، وقد يكونُ فرْضَ كِفايةٍ، أو لأنَّ كُلًّا منهما عِبادةٌ نَفْعُها مُتَعدٍّ إلى عُمومِ المسلِمين، وأنَّه إحْياءٌ للدِّينِ وإذْلالٌ للشَّيطانِ، وإتْعابٌ للنَّفسِ وإبْعادٌ لها عن الشَّهواتِ.

أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **احضروا الذِّكرَ[1] وادْنوا من الإمامِ فإنَّ الرَّجلَ لا يزالُ يتباعدُ حتَّى يُؤخَّرَ في الجنَّةِ وإن دخلها** ".

(السلسلة الصحيحة: ٣٦٥) (صحيح أبي داود: ١١٠٨)

ومفهوم المخالفة: أن من حضر الذكر – يعني مجلس العلم – ودنا من الإمام؛ فإنه يرفع له درجات في الجنة.

٢٧- فضل كفالة طالب العلم:

فقد أخرج الترمذي والحاكم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **كانَ أخَوانِ على عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ فَكانَ أحدُهُما يأتي النَّبيَّ ﷺ والآخرُ يحترِفُ، فشكَى المحترفُ أخاهُ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: لعلَّكَ ترزقُ بِهِ** ".

(صحيح الترمذي: ٢٣٤٥)

وفي هذا الحَديثِ يَقولُ أنَسُ بنُ مالكٍ ﷺ: **كان أخَوانِ على عَهدِ النَّبيِّ ﷺ فكان أحَدُهما**"، أي: أحَدُ الأخَوَين،" **يأتي النَّبيَّ ﷺ**"، أي: يَحضُرُ إلى النَّبيِّ ﷺ، ويُلازِمُه ويَسمَعُ أحاديثَه ويتعلَّمُ مِنه أمورَ الدِّينِ،" **والآخَرُ يَحتَرِفُ**"، أي: وكان الأخُ الآخَرُ يَعمَلُ ويتَكسَّبُ، ويَحترِفُ، أي: يَعمَلُ في حِرْفةٍ أو صَنعةٍ، وكان هذا العامِلُ المتكسِّبُ يتَحمَّلُ مَعيشةَ أخيه الآخَرِ ويوفِّرُ له الطَّعامَ والشَّرابَ،" **فشكا المحترِفُ أخاه إلى النَّبيِّ ﷺ**"، أي: فجاء الأخُ الَّذي يَعمَلُ ويتكسَّبُ مِن حِرفتِه إلى النَّبيِّ ﷺ، وشَكا إليه أخاه أنَّه لا يُساعِدُه في حِرفَتِه ولا يَخرُجُ يتَكسَّبُ معه أسبابَ المعيشةِ والرِّزقِ، فقال النَّبيُّ ﷺ لهذا الأخِ الشَّاكي:" **لعلَّك تُرزَقُ به**"، أي: لعلَّ اللهَ جعَله سببًا في أن يَرزُقَك؛ لأنَّك تكلَّفتَ عِبْءَ مَعيشَتِه وطَعامِه وشَرابِه، فربَّما كان هو السَّبَبَ في رِزقِك ومَعيشَتِك، فلا تَمنُنْ عليه بعَمَلِك؛ ولا يَعني هذا الدَّعوةَ إلى التَّكاسُلِ والخُمولِ والتَّواكلِ، ولكنَّه تَعريفٌ بفَضلِ اللهِ على الخَلقِ كلِّهم، وبيانٌ أنَّه هو الرَّزَّاقُ وأنَّه هو الكافلُ لِمَن شاء بمَن شاء، فلا يَمنُنْ غنيٌّ على فقيرٍ بعَطاءٍ، ولا عائلٌ على مُعيلٍ بكَفالتِه، وقد ورَدَتْ نصوصٌ كثيرةٌ في الحثِّ على العمَلِ وطلَبِ التَّكسُّبِ وعدَمِ التَّواكُلِ، ومُراعاةِ حَقِّ اللهِ في الطَّاعةِ وحقِّ النَّفسِ بالتَّعفُّفِ وعدَمِ سُؤالِ النَّاسِ.

(الدرر السنية)

١- احضُروا الذِّكرَ: أي احضُروا الخُطَبَ والمَواعِظَ ودُروسَ العِلمِ في المساجِدِ وغيرِها؛ كيَومِ الجمُعةِ والعيدَين وغيرِ ذلك، وسُمِّيَت ذِكرًا لِمَا تَشتمِلُ عليه مِن دعاءٍ واستغفارٍ وقراءةٍ للقرآنِ.

٢٨- فضل الدعوة إلى الله تعالى:

قال ابن القيم-رحمه الله- في" جلاء الأفهام ص:٢٤٩": " فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له. وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلّغ عنه ولو حديثًا، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، ولأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس. أما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه ". اهـ

ويدلك على فضل الدعوة ما أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ**[1] ".

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا** ".

قال ابن القيم -رحمه الله-: " أخبر النبي ﷺ أن المتسبب إلى الهُدى بدعوتِه له مثل أجر من اهتدى به، والمتسبب إلي الضلالة بدعوته عليه مِثْلُ إثْمِ مَنْ ضَلَّ به؛ لأنَّ هذا بَذَلَ قُدرته في هدايةِ النَّاسِ، وهذا بَذَلَ قُدرتَهُ في ضلالهم، فنزَّل كل واحد منهما بمنزلة الفاعل التَّام. وهذه قاعدة الشريعة؛ **قال تعالى:** ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (النحل:٢٥) **وقال تعالى:** ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (العنكبوت:١٣) وهذا يدلُّ على أنَّ مَنْ دعا الأمة إلى غير سنّةِ رسولِ اللهِ ﷺ فهو عَدوُّهُ حَقًّا؛ لأنَّه قَطَعَ وصول أجرِ مَنْ اهتدى بسنته إليه، وهذا من أعظم معاداته، نعوذ بالله من الخذلان ".

(مفتاح دار السعادة:١/٢٥١)

وأخرج ابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **أيُّما داعٍ دعا إلى ضلالةٍ فاتُّبِعَ، فإنَّ لَهُ مثلَ أوزارِ من اتَّبعَهُ، ولا يَنقصُ من أوزارِهِم شيئًا، وأيُّما داعٍ دعا إلى هدًى فاتُّبِعَ، فإنَّ لَهُ مثلَ أجورِ من اتَّبعَهُ، ولا يَنقصُ من أجورِهِم شيئًا** ". (صحيح ابن ماجه: ١٧١)

١- خَيرٌ لكَ مِن أنْ يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ: وهي نَوعٌ مِنَ الإبلِ المَحْمودةِ، وكانت مِمَّا تَتفاخَرُ العَرَبُ به، والمَعنى: أنْ تكونَ سَبَبًا في هِدايةِ رَجلٍ واحدٍ خَيرٌ لكَ مِن أنْ تكونَ حُمْرُ النَّعَمِ لكَ، فتتَصَدَّقَ بها، وقيلَ: تَقْتَنيها، وتَملِكُها.

أ- مَن دلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ.

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو ﷺ قال: "جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فَقالَ: إنِّي أُبْدِعَ بي فَاحْمِلْنِي، فَقالَ: ما عِندِي، فَقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ، أَنَا أَدُلُّهُ علَى مَن يَحْمِلُهُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: مَن دَلَّ علَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ ".

ويَدخُلُ في هذا الحديثِ كلُّ أعمالِ الخيرِ؛ مِن نُصحٍ بإعطاءِ صَدقةٍ، أو بِناءِ مَسجدٍ، أو مَدرسةٍ، أو رِباطٍ، وغيرِ ذلك مِن الخيراتِ، فمَن نَصَحَ به أو وَعَظ أحدًا حتَّى يَخافَ اللهَ تَعالَى، ويَرجِعَ مِن المعاصي إلى الصَّلاحِ؛ فله مِثْلُ أجْرِ مَن فَعَل خيرًا بقولِه.

وقول النبي ﷺ:" مَن دَلَّ على خَيرٍ فله مِثلُ أَجْرِ فاعِلِه" أي: بمِثلِ أجْرِ فاعلِه؛ لأنَّه تَسبَّبَ في حُصولِه وفِعلِه والإعانَةِ عليه، ويَدخُلُ في هذا الحديثِ كلُّ أعمالِ الخيرِ؛ مِن نُصحٍ بإعطاءِ صَدقةٍ، أو بناءِ مَسجدٍ، أو مَدرسةٍ، أو رِباطٍ، وغيرِ ذلك مِن الخيراتِ، فمَن نَصَح به أو وَعَظ أحدًا حتَّى يَخافَ اللهَ تَعالَى، ويَرجِعَ مِن المعاصي إلى الصَّلاحِ؛ فله مِثلُ أجْرِ مَن فَعَل خيرًا بقولِه.

ونقل ابن وضاح -رحمه الله- في" كتابه الحوادث والبدع ص:٣" عن عمر ﷺ أنه قال في خطبته:

" الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله أهل العمى، كم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وضال تائه قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد ".

ب- الدعوة إلى الله نوع من أنواع الجهاد:

قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (سورة الفرقان:٥٢)

قال ابن القيم-رحمه الله- في" كتابه زاد المعاد:٢/٥٨:" وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْجِهَادِ الْمُطْلَقِ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، فَأَمَّا جِهَادُ الْحُجَّةِ فَأَمَرَ بِهِ فِي مَكَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أَيْ: بِالْقُرْآنِ ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الْفُرْقَانِ:٥٢) فَهَذِهِ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ، وَالْجِهَادُ فِيهَا هُوَ التَّبْلِيغُ، وَجِهَادُ الْحُجَّةِ...".

جـ- الدعاة والعلماء هم ورثة الأنبياء:

فقد أخرج الإمام أحمد وأهل السنن وابن حبان عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ[1] وافرٍ ". (صحيح الجامع: ٦٢٩٧)

قال سفيان بن عيينة-رحمه الله-:" أرفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده، وهم الرسل والعلماء ". (تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص:٧٠) (مفتاح دار السعادة: ١/١٢٨)

١ ـ الحظ: النصيب، والمعنى: أخذ نصيبًا وافرًا، أي: تامًا لا حظ أوفر منه.

د- الدعاة اصطفاهم الله وجعلهم أئمة يهدون الناس إلى طريق الحق:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:٢٤)

قال العلامة السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم يهدون غيرهم بذلك الهدى، فالكتاب الذي أُنزل إليهم: هدى، والمؤمنون به منهم، على قسمين: أئمة يهدون بأمر الله، وأتباع مهتدون بهم.

والقسم الأول: أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين. وإنما نالوا هذه الدرجة العالية ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ على التعلم والتعليم، والدعوة إلي الله ﷻ والأذى في سبيله، وكفوا نفوسهم عند جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات. ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أي وصلوا في الإيمان بآيات الله إلي درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل. وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين. فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذاك. فبالصبر واليقين، تُنَال الإمامة في الدين ". اهـ

٢٩- فضل من سن في الإسلام سنة حسنة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جرير بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ ".

– *وعند ابن ماجه بلفظ:* " مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً فعمِلَ بِها، كانَ لَهُ أجرُها وَمِثْلُ أجرِ مَن عملَ بِها، لا يَنقُصُ مِن أجورِهِم شيئًا ومن سنَّ سنَّةً سيِّئةً فعملَ بِها، كانَ عليهِ وزرُها وَوِزْرُ مَن عملَ بِها من بعدِه لا ينقصُ من أوزارِهِم شيئًا ". (صحيح ابن ماجه: ١٦٩)

وقول النبي ﷺ: "مَن سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حَسنةً"، أي: أتى بطَريقةٍ مَرضيَّةٍ يَشهَدُ لها أصلٌ مِن أُصولِ الدِّينِ، أو صار باعثًا وسَببًا لتَرويجِ أمرٍ ثابتٍ في الشَّرعِ، فاقْتَدى به غيرُه فيه؛ فله ثَوابُ العملِ بها، وأجرُ مَن عَمِلَ بها مِن بعدِ ما سَنَّ، مِن غيرِ أنْ يَنقُصَ مِن ثَوابِ وأُجورِ العاملينَ بها شَيءٌ، قَليلٌ ولا كَثيرٌ؛ لأنَّه أجرٌ على تَسبُّبِه في عَملِهم ولا أجْرٌ على عَمَلِهم.

قال الشيخ ابن باز-رحمه الله-: " فمعنى سن في الإسلام يعني: أحيا سنة وأظهرها وأبرزها مما قد يخفى على الناس فيدعو إليها ويظهرها ويبرزها فيكون له من الأجر مثل أجور أتباعه فيها، وليس معناه الابتداع، ليس معناه أنه يبتدع في الإسلام بدعة حسنة، لا، كل بدعة ضلالة، يقول ﷺ: كل بدعة ضلالة. لكن المقصود: إحياء السنة وإظهارها، مثلًا: يكون في بلاد ما عندهم تعليم للقرآن، ما عندهم

تعليم للسنة فيحيي هذه السنة، يجلس للناس يعلمهم القرآن يعلمهم السنة أو يأتي لهم بمعلمين، أو في بلاد يحلقون لحاهم أو يقصونها فصار هو يحيي هذه السنة وهذا المشروع يعني: يعفي لحيته ويربيها ويوفرها، فتابعه الناس في ذلك واقتدوا به عملًا بقول النبي ﷺ: قصوا الشوارب وأعفوا اللحى خالفوا المشركين، فلما رأوه قد وفر لحيته تابعوه فأحيا بينهم السنة وهي سنة واجبة، يعني: من الواجبات فيكون له مثل أجورهم. أو في بلاد يجهلون صلاة الجمعة ولا يصلون الجمعة فيعلمهم ويصلي بهم الجمعة أو ينصب بينهم ويصلي بهم الجمعة، أو في بلاد يجهلون الوتر فيعلمهم إياه في الليل؛ صلاة الوتر، أو ما أشبه ذلك من العبادات والأحكام المعلومة من الدين فيطرأ على بعض البلاد أو بعض القبائل جهلها، فالذي يحيها بينهم وينشرها ويبينها يقال له: سن في الإسلام سنة حسنة يعني: أظهر في الإسلام وبين في الإسلام سنة حسنة، وليس المراد أن يبتدع ما لم يأذن به الله؛ لأن البدعة ضلالة، **يقول ﷺ في الحديث الصحيح:** **وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.**

ويقول ﷺ في الحديث الصحيح أيضًا: **من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**، وفي اللفظ الآخر: **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**، متفق على صحته.

ويقول في خطبة الجمعة عليه الصلاة والسلام: **أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.** فالبدع التي لا يشرعها الله لا يجوز الدعوة إليها ولا فعلها بل يكون فعلها إحياء للبدع، يكون الدعوة إليها دعوة إلى البدع فلا يجوز، وليس المراد في هذا الحديث هذا المعنى، من سن في الإسلام سنة حسنة، يعني: أحياها وأظهرها وبينها وأرشد إليها ". اهـ

(فتاوى نور على الدرب)

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ قال: **جاء رجل إلى النبي ﷺ فحث عليه، فقال رجل: عندي كذا وكذا، قال: فما بقي في المجلس رجل إلا تصدق عليه بما قل أو كثر، فقال رسول الله ﷺ: من استن خيرًا فاستن به [1] كان له أجره كاملًا ومن أجور من استن به ولا ينقص من أجورهم شيئًا، ومن استن سنة سيئة فاستن به فعليه وزره كاملًا ومن أوزار الذي استن به، ولا ينقص من أوزارهم شيئًا ".**

وهذا الحديث واضح؛ لأن المراد بقوله: (**استن**) عمل بالسنة؛ لأن النبي ﷺ حث على الصدقة، فجاء هذا الرجل وعمل بها، وأول ما عمل بها اقتدى به الناس

وأخرج الطبراني من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من سن سنة حسنة فله أجرها ما عمل بها في حياته وبعد مماته حتى تُتْرَكَ، ومن سن سنة سيئة فعليه إثمها حتى تُتْرَكَ، ومن مات مرابطا جرى عليه عمل المرابط حتى يبعث يوم القيامة ".** (صحيح الترغيب والترهيب:٦٦)

١ـ من استن خيرًا فاستن به: يعني اقتدي به.

٣٠- فضل صلاح الآباء:

صلاح الآباء ينفع الأبناء:

فالرجل الصالح يُحفظ في ذريته: ***فقد أخرج الترمذي وأحمد عن ابْنِ عَبَّاسٍ–رضي الله عنهما– قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:*** " احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ".

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ–رحمه الله– لِابْنِهِ: " لَأَزِيدَنَّ فِي صَلَاتِي مِنْ أَجْلِكَ، رَجَاءَ أَنْ أُحْفَظَ فِيكَ. ثم تلا: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾".

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ–رحمه الله–: " إِنَّ اللَّهَ لَيَحْفَظُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ وَالدُّوَيْرَاتِ الَّتِي حَوْلَهُ فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظٍ مِنَ اللَّهِ وَسِتْرٍ ".

وتشمل بركة عبادة الرجل الصالح لأبنائه في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا: فدل عليه قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ (الكهف:٨٢) لقد حفظ الله الكنز لليتيمين ببركة صلاح أبيهما.

يقول ابن كثير–رحمه الله–عند تفسيره ذه الآية: " فيه دليلٌ على أن الرجل الصالح يُحْفَظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة؛ لتقرَّ عينه بهم؛ كما جاء في القرآن ووردت به السنة؛ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم: حُفِظا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحًا ". اهـ

ويقول القرطبي–رحمه الله–: " في هذه الآية ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه، وفي ولده وإن بعدوا عنه، وعلى هذا يدل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٦)

وأما في الآخرة: فدل عليه قوله تعالى في سورة الطور: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ***قال ابن كثير–رحمه الله– في تفسيره:*** " يخبر الله تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم؛ لتقر أعين الآباء بالأبناء في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك ".

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ إِلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُمْ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ؛ لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾. قَالَ: وَمَا أَنْقَصْنَا الْآبَاءَ بِمَا أَعْطَيْنَا الْبَنِينَ ".

(السلسلة الصحيحة:٢٤٩٠)

٣١- فضل الدعاء وسؤال الله الجَنَّة:

فقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه: " اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجَنَّة، والنجاة من النار". (أخرجه الحاكم)

- وكان يقول ﷺ أيضًا: " اللهم إني أسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمت منه، وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشرِّ كله، عاجله وآجله، ما علمت منه، وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجَنَّة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار، وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرًا ". (صحيح الجامع: ١٢٧٦)

- وأخرج الترمذي والنسائي والحاكم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " مَن سألَ الله الجَنَّةَ ثلاثَ مراتٍ، قالت الجَنَّةُ: اللهم أدخله الجَنَّة، ومَن استجارَ من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجِرْه من النار".

(صحيح الجامع: ٦٢٧٥)

- وفي رواية عند الإمام أحمد وابن ماجه بلفظ: " ما سأل رجلٌ مسلمٌ الله الجنة ثلاثًا، إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجَنَّة، ولا استجار رجلٌ من النار ثلاثًا، إلا قالت النار: اللهم أجِرْه مني ".

(صحيح الجامع: ٥٦٣٠)

والعنوان يدل على أن هناك شفاعة غير حسنة وهي الشفاعة المحرمة، أو الشفاعة في محرم.

وأما الشفاعة المحرمة فمثالها: ما كان من أسامة بن زيد-رضي الله عنهما- عندما شفع للمرأة المخزومية إلا تقطع يدها وقد سرقت، فقال النبي ﷺ: " أتشفع في حد من حدود الله؟...".

(والحديث عند البخاري ومسلم)

وقد أخرج أبو داود أن النبي ﷺ قال: " مَن حالتْ شفاعتُه دون حدٍّ من حدود الله؛ فقد ضادَّ الله في أمره".

أما الشفاعة في محرم؛ فمثالها: أن يشفع لرجل عند رجل أخر لكي يوافق على خطبة ابنته من هذا الرجل، وهذا الفتاة مخطوبة، وكما نعلم أنه لا يجوز ان يخطب الرجل على خطبة أخيه.

- أما ما نحن بصدده هو الحديث عن الشفاعة الحسنة. قال تعالى: ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴾ (النساء:٨٥)

قال أهل التفسير: " النصيب: الحظ من كل شيء خيرًا كان أو شرًا، والكفل كذلك، ويرى بعضهم أن الكفل لا تستعمل إلا في الشر".

قال الراغب–رحمه الله– في المفردات: " الكفل: هو الحظ من الشر والشدة، وهو مستعار من الكفل وهو الشيء الردي، ولذلك عبر بالنصيب في الشفاعة الحسنة وبالكفل في الشفاعة السيئة. ويستعمل الكفل بمعنى المثل ".

والقاعدة المعروفة في الثواب والعقاب أن الحسنات مضاعفة والسيئات تجزى بمثلها، وهذا مطرد في كتاب الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (الأنعام:١٦٠)

قال البخاري–رحمه الله–: " الكفل: يعني النصيب ".

وقال أبو موسى الاشعري ﷺ في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ (الحديد:٢٨) قال: أي أجرين بلغة الحبشة.

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في فتح الباري:١٠/٤٥٢": " أراد المصنف أن الكفل يطلق ويراد به النصيب، ويراد به الأجر، وأنه في آية النساء بمعنى الجزاء، وفي آية الحديد بمعنى الأجر". اهـ

والشفاعة الحسنة هي الوساطة في إيصال الخير أو دفع الشر سواء كانت بطلب من المنتفع أم لا، ***كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن ابن عباس –رضي الله عنهما– في قصة بَرِيرَةَ وزوجِها، قال: قال لها النبي ﷺ:*** " لو راجَعْتِهِ؟"، قالت: يا رسول الله، تأمُرُني؟ قال:" إنما أَشْفَعُ"، قالت: لا حاجة لي فيه ".

وقد حث النبي ﷺ على الشفاعة الحسنة؛ فقال ﷺ: " اشفعوا تؤجروا ".

والحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ إذَا جاءَهُ السَّائِلُ أوْ طُلِبَتْ إلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، ويَقْضِي اللَّهُ علَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ ما شَاءَ ".

قال الإمام النووي–رحمه الله–من شرحه على مسلم:١٦/٤١٦: " وفي الحديث استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة، سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووالٍ ونحوهما، أو إلى واحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كفِّ ظلم، أو إسقاط تعزير، أو في تخليص عطاء لمحتاج، أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود فحرام، وكذلك الشفاعة في تتميم باطل، أو إبطال حق، ونحو ذلك، فهي حرام ". اهـ

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا   جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك